الحُب والكراهية

إعداد

أ.د/ تحية عبد العال

أستاذ الصحة النفسية

بكلية التربية جامعة بنها

الحُـــب والكـــراهيـــة

إعـــداد
أ.د/ تحية عبد العال
أستاذ الصحة النفسية
بكلية التربية- جامعـة بنهـا

الملخـــص

لقد أصبح الحب love مشكلة من المشكلات الأساسية التى تؤرق تلك الموجودات التى لم تعد تستطيع أن تحيا إلا على الكراهية Heat، والعدوان، وحب القوة، والخوف من الحرب. صحيح أن الإنسانية تسعى جاهدة فى سبيل السير على درب "الإيخاء" ولكنها- مع الأسف – لم تنجح بعد فى تنظيم علاقاتها على أساس من التصالح والتعاون والتعايش السلمى، فبقيت "المحبة" – فى نظر الكثيرين – مجرد "حلم" يراود تلك النفوس الطيبة التى لا تريد للعالم أن يحيا صريعا للخوف والعسف والإرهاب، فهل من عجب بعد ذلك أن يبقى "الحب" هو "مشكلة" ذلك المخلوق المسكين الذى عرف أن "الله محبة" ولكنه مازال عاجزا – حتى اليوم – عن عبادة الإله الحقيقى الأوحد؟

لذا فقد يحدث الحب فى تلك اللحظة التى نستشعر فيها تلك الحاجة الغامضة إلى التلاقى بحثا عن ذلك الموجود الذى يمكن أن نتركز حوله أو نتثبت عليه لإدراكنا أن السعادة هى فى التلاقى مع ذلك الآخر الذى يسكن فى أعمق أعماقنا. فالحُبّ : هو عبارة عن حاجة إنسانية عظيمة تعادل في مفهومها معنى الحياة، ولهذا فقد تتعدد أوجه الحُبّ وأنواعه تبعاً لاختلاف المراحل التي يمرّ بها الإنسان أثناء حياته، بالإضافة إلى اختلاف الظروف المحيطة التي يعيشها منذ نعومة أظفاره، فمثلاً يبدأ الإنسان حياته بحُبّه لوالديه وتعلقه بهما، ثمّ ينشأ الحُبّ الأخوي مع أصدقائه، ثمّ يأتي الحُبّ للجنس المختلف، أو المقابل

Love and hate

Abstract

Love has become one of the main problems that hinder those organisms that can no longer live without hate, aggression, love of power and fear of war. It is true that humanity is striving to follow the path of “harm” but unfortunately - they did not - yet succeed in organizing their relations on the basis of reconciliation, cooperation and peaceful coexistence. The art of "love" - in the eyes of many - is just a "dream" that those good souls seeks, who do not want science to live in fear, violence and terrorism, so there is no wonder that love remains the "problem" of that poor creatures who knew that "God is love" but is still unable - even today - to worship the one true God?

So, love may arise at the moment we feel that there is a mysterious need to converge in search of the existed being that we can focus or lean upon to realize that happiness is to be close with the other that dwells in the very deep of ourselves. Love: is a great human need that equates in its concept the meaning of life, and thus there are may multiple aspects of love and its types depending on the different stages that a person goes through during his life, in addition to the different surrounding circumstances he experience since his childhood, for example a person begins his love in life for his parents and attachment with them, after that arises brotherly love with his friends, then love with different sex.

Therefore, we will first talk about love, its concept and its ranks, then further work papers will follow on the rest of that concept, then we will talk later about hate.

مقـــدمـــــة:

فقد ينتابنا فى البداية شغف التساؤل: كيف يتأتى لنا أن نقول: أننا نحيا فى عصر الحب مع علمنا بأننا نحيا فى عالم ثورى يحاول أن يتستعيض عن حب القوة بقوة الحب ومما لا شك فيه أن عصرا عرف تولستوى، وغاندى، وطاغور، وجبران خليل جبران ،وغيرهم من أنبياء الحب، لا يمكن إلا أن يكون عصر الحب، فهل ينكر أحد منا أننا أصبحنا نؤمن اليوم بأن الحب – والحب وحده – هو صانع المعجزات؟ ألم نعد نفهم جميعا أن الحب الحقيقى لا يمكن أن يكون مجرد نزوة، أو عاطفة، أو انفعالا بل هو فعل، أونشاط، أو إبداع؟ ألم يكن من بيننا من يقول: إن محبة القريب ليست أغنية تنشد، بل فعلا يحقق، ألسنا نميل إلى القول مع تولستوى بأن المحبة الحقيقية لا تتفق فى كثير أو قليل مع ذلك الحب العاطفى أو الوجدانى. لذا فكيف يتسنى لفيلسوف يحيا فى عصر الحب أن يتجاهل مشكلة الحب.

إن فى الحب شيء من كل شيء، ففيه شيء من الروح، وفيه شيء من العقل، وفيه شيء من القلب، وفيه شيء من الجسد، والحب هو "مركب إبداعى" يحمل طابع ذلك الموجود الفريد الذى لن يكون إنسانا بحق، اللهم إلا إذا كان شيئا أكثر من مجرد إنسان. صحيح أن تجارب البشر شاهدة على أن الحب كثيرا ما كان دواء شافيا، أوعلاجا ناجحا لأدواء حياة طويلة بأسرها، ونحن نعترف بأن الحب عندنا اليوم أصبح ظاهرة تختلف– فى كثير أو قليل– عن الحب عند أسلافنا، ولكن من المؤكد– مع ذلك– أنه قد يبقى مزيجا من القديم والحديث، وأن كثير من تجارب الحب والمحبين تعد شاهدا على ذلك (عنتر وعبلة وجميل وبثينة، وكثير وعزة، ومن قبلهم أنطونيو وكليوباترا وغيرهؤلاء الكثير.

هذا وقد حاولنا أن نبين كيف أن الحب يكسب الوجود البشرى إتجاها وقصدا، وغائية، فيحل وحسبنا أن نقارن بين تعريف "أفلاطون" للحب وتعريف "فرويد" لهذه الوظيفة الجنسية ذاتها، أو بين فهم كل من لاروشفوكو وتولستوى لما يسميه الناس عادة بالحب، أو بين تفسير ماكس شلر وتأويل فيلسوف آخر كاشوبنهور لهذه العاطفة نفسها، مما تستدعى الضرورة عقد مقارنات بسيطة من هذا القبيل، لكى ندرك إلى أى حد اختلف الفلاسفة والمفكرون وعلماء النفس فى فهم معنى الحب (زكريا إبراهيم، ٦).

والظاهر أن الحب هو أشبه مايكون بالنور، فإننا جميعا نعرف ماهو، ولكن أحدا منا لا يستطيع أن يقطع على وجه التحديد بالعناصر التى يتكون منها هذا الحب، بينما نجد شاعرا مثل "دانتى" يقرر أن "الحب قوة كونية كبرى" لأنه هو الذى يحرك الشمس وباقى الأجرام السماوية".

على حين يرى "لاروشفوكو" لو لم يكن الناس قد سمعوا الكثير عن الحب، لما قدر للكثيرين منا أن يقعوا صرعى لما نسميه بأسم الحب، على حين ذهب "بلزاك" إلى أن الحب توافق بين الحاجات الحيوية والمشاعر الوجدانية. كما أكد "بروست" على أن الحب مجرد وهم من الأوهام، وأننا نطمع عن طريقه فى امتلاك شخص من الأشخاص، ولكننا لا نلبث أن نتحقق من استحالة تحقيق هذه الرغبة، بينما قرر "تولستوى" أن من الشر المنبعث بين البشر يرجع إلى تلك العاطفة الزائفة التى يسمونها بأسم الحب، والتى لا تشبه الحب الحقيقى أكثر مما تشبه حياة الحيوان حياة الإنسان".

كما نجد مفكرا آخر مثل "كلود آنيه" يقرر أنه لابد لنا من أن نعترف بالجميل للإنسان، فإنه قد استطاع أن يخلق من الحب شيئا جديدا كل الجدة، وآية ذلك أن الطبيعة قد منحتنا الحب، ثم استطعنا نحن أن نطوره ونرقيه ونخلع عليه صور معقدة غاية فى التعقيد، حتى أن حضارتنا وفكرنا، وكل شيء آخر، إنما هى جميعا – فى خاتمة المطاف – مجرد ثمرة من ثمار الحب".

فما أجمل الحياة إن كان فيها عزيز يتذكر، وقلب يتأثر ومحب مخلص لا بصغائر الأمور يتغير. فلا تنسى أن جمال الروح يهون عليك المصائب، وجمال النفس يسهل لك المطالب، وجمال العقل يحقق لك المكاسب، أم جمال الشكل يسبب لك كل المتاعب.

ويرى "زكريا إبراهيم" أن الهدف من هذا الذى ننشده هو ليس مجرد تحديد معنى كلمة الحب، أو بيان أصلها الإشتقاقى، أو حصر شتى استعمالاتها، وإنما الهدف الذى نرمى إليه هو أولا وبالذات تحليل تلك الخبرة الإنسانية العميقة التى يحياها كل فرد منا لحسابه الخاص، دون أن يقوى على وصفها، أو تعمقها، أو تفسير مدلولها. فمن منا لا يتذكر تلك اللحظات السعيدة من حياته، لمجرد أنه كان يشعر بأنه يحيا من أجل شخص ما؟ ومن منا لا يستطيع أن يقول مع الفيلسوف المعاصر "جانكلفتش": أجل لقد كنت شابا وقد أحببت، وعرفت الألم، وترقبت بشغف ولهفة من ذلك الأخر الذى أحببته، وإليه تعود كل سعادتى، ومن منا لا يعرف تلك الحياة العميقة المليئة الخصبة التى كنا نحيا فيها لنحب، ونحب فيها لنحيا؟ ومن منا لم يدرك يوما أن الحب هو الحياة، تلك الحياة الطامحة النابضة الوفيرة؟ ومن منا لم يشعر يوما بأن لحظات الحب القصار هى وحدها التى استطاعت أن تخلع على حياته الوهمية الخداعة كل ما تنطوى عليه من حقيقة، ومعنى، وقيمة، وحيوية؟ ومن منا لايعود بذاكرته– فى غبطة وسعادة– إلى تلك الواحات الضائعة من الطهارة والنضارة والسحر والشعر، لكى يستمتع بعذوبة تلك الذكريات الجميلة التائهة فى بيداء الروتين اليومى الفظيع.

لذا فقد تغنى "هوميروس" بحب (باريس لهلينا) فى الإلياذة، وتغنى "دانتى" بحب بباتريس، وتغنى شكسبير بحب عطيل لديديمونا، وحب روميو لجولييت، وتغنى"جيته" بحب (فاوست لمرجريت)، وتغنى "تولستوى" بحب (أندرو لنتاشا)، ولكن هؤلاء جميعا لم يقولوا لنا شيئا عن معنى الحب، بل هم قد حدثونا فقط عن أنماط مختلفة من الحب. ولكن التجربة تظهرنا على أن كل حب عظيم إنما هو نسيج وحده، فهو عالم مستقل قائم بذاته، ولا سبيل إلى مقارنته بغيره، أو تحديد شروطه فى المكان والزمان". ونحن لا ننكر بطبيعة الحال أن ثمة فروقا بين حب آدم لحواء وحب شمسون لدليلة، وحب قيس لليلى، وحب أنطونيو لكليوباترا، وحب دون كيشوت "لدولسينا"، وحب أوديسيوس "لبنلوب"، وحب هنرى الخامس "لكاترينا". وهكذا أليس ثمة دلالة انسانية عامة تكمن من وراء كل تلك الدروب المتنوعة من الحب بحيث يكون فى وسعنا أن نهتدى إلى ماهية مشتركة هى التى تبرز تسمية كل تلك الأنماط البشرية المختلفة من التجربة باسم واحد؟

أما من سبيل إلى فهم معنى الحب بوصفه قيمة إنسانية كلية؟ ألا يحق للفيلسوف أن يناقش مشكلة الحب بوصفها صورة من صور الخبرة البشرية بكل ماتنطوى عليه من تناقض، وصراع، وتوتر، وإشكال حى؟ وألا يشعر المحبون بأن الحب هو تلك النجمة الوضاءة التى تضيء السبيل أمام كل زورق تائه؟ ألا يحس العاشقون بأن الحب هو تلك اللؤلؤة الفريدة التى تسطع بين سائر الإنفعالات البشرية؟ وألا تدلنا التجربة نفسها على أن الإنسان حين يحب فإنه يشعر بأنه كل حى، وكل متكامل، كل ينبض بالحياة، ويفيض بغبطة الحياة؟ ألا تظهرنا خبرتنا الشخصية على أن الحياة لا تبدوا جميلة، عذبة، رقيقة، رائعة، ساحرة، اللهم إلا من خلال عينيى الحب؟ ألسنا نحس حين يرتفع عنا الحب بأن أحلامنا، وأفكارنا، وآمالنا، ومقاصدنا، وغاياتنا، قد أصبحت خالية تماما من المعنى، ومن كل قيمة؟ إذن أفلا يحق لنا أن نقول إن الحب هو مركز الحياة والمعنى، ومنبع السعادة والقيمة؟ أليس الأدنى إلى الصواب أن نقرر أن الحب كما قال "إريك فروم" جواب على إشكال الوجود الإنسانى؟.

وقد لا يجانبنا الصواب إذا ذهبنا إلى القول مع زكريا إبراهيم: "بأن تاريخ البشرية بأسرها يمكن أن يكتب بلغة الحب، والعنف، والكراهية. وبالرغم من أن العنف مثلا على سبيل المثال مازال يفرض نفسه كأحد ثوابت العقل البشرى وكأنه طبيعة غريزية فى الإنسان وأن الفكر البشرى مازال فى مظهره الإنسانى المستنير يسعى ويكد للكشف عن خفايا هذه السليقة وعن

منشئها وأشكالها وأسبابها ومغزاها ووسائلها وأبعادها عن مجال القيم الإنسانية العليا القائمة على العقل والحكمة والرقى بالإنسانية إلى أسمى معارجها (رينيه جيرارد، ١٩٩٢،٧). ومهما كانت وجهات نظر العلماء والباحثين متنوعة، فإن هناك انطباعا يفرض وجوده ليؤكد أن الإنسان كائن عجيب تتجاور فيه أسمى التطلعات والانفعالات التى قد ترتقى به إلى أقوم السبل، وأرفع المثل العليا "كالحب" مثلا على سبيل المثال، ذلك الإنفعال الذى يرتقى بنا وبإحساساتنا فيجعلها أكثر رقيا وتحضرا وتساميا، حتى أن الكتب السماوية كانت حريصة على ذلك.

والشاهد على ذلك أننا إذا عدنا إلى التوراة مثلا لوجدنا أن قصة البشرية بأكملها مكتوبة بعبارات الحب، وآية ذلك أننا نلتقى فى الكتاب المقدس بكل أنواع الحب (حب الله وحب مامون Mammon، حب الأوثان، وحب الشهرة، والحب الطاهر العفيف والحب الدنس، وانجذاب الروح وتسامى الحب، هذا إلى شتى ضروب الصداقة والمودة، فضلا عن صور الكراهية التى قد يولدها الحب).

بيد أن المكانة الكبرى التى احتلها الحب فى حياة الناس ما كانت لتجعل منه حلا لشتى مشكلاتهم، بل هى– على العكس من ذلك– قد جعلت منه إشكالا عنيفا تلبس بصميم وجودهم، فصارت مشكلة الحب هى أولى مشكلات ذلك المخلوق الهجين الذى يتعانق عنده النور والظلام، وتمتزج فى قلبه عواطف الحرب والسلام، وكيف لا يكون الحب مشكلة، ونحن نرى الإنسان يتحدى الإنسان، ويصطنع فى تعامله مع إخوانه فى الإنسانية شتى أساليب التنافس والصراع؟ إن نظرة واحدة يلقيها المرء من شرفته على عابرى الطريق لهى كفيلة بأن تظهره على التنوع العجيب الذى تتسم به العلاقات الإنسانية، فالإنسان يتحامى عن أخيه الإنسان، ويتجاهل رفاقه فى الطريق والإنسان يحب الإنسان، ويشعر بقشعريرة الغبطة حين يقرب أخاه الإنسان، والإنسان يبغض أيضا رفيقه، ويتفنن فى إبتداع شتى الوسائل لإيذائه أو تحديه أو القضاء عليه. من هذا كله فقد نجد أن الإنسان أيضا قد يحب ويكره فى آن واحد. بل أن المسيح نفسه– وهو صاحب دعوة الحب– قد أعلن بصريح العبارة قائلا: "إننى ما جئت لألقى سلاما، بل سيفا".

ولم يلبث التاريخ نفسه أن سجل لنا هذه الحقيقة المرة، ألا وهى أن أكثر الديانات دعوة إلى الحب والسلام، لم تستطع أن تنشر رسالتها إلا على أسنة الرماح، ومن هنا فقد امتزج الحب بالحرب فى دنيا ذلك المخلوق العجيب الذى جبل من طين ونور، وهكذا بقى الحب مشكلة وكان حريا به أن يكون حلا. فالحب يجلب السعادة التى تطهر القلب، وكلما طهر القلب رق فإذا رق راق وإذا راق ذاق وإذا ذاق إشتاق، وإذا إشتاق إجتهد، وإذا إجتهد هبت عليه نسائم الجنة فيفرح بالطاعة ومن ذاق عرف، ومن عرف إغترف، ومن إغترف نال الشرف والشرف هنا شرف محبة الله ومجازا محبة المحبوب، اللهم إجعلنا ممن راقوا وذاقوا وفاقوا واشتاقو واجتهدوا بطاعتك.

وهكذا لعبت العواطف دورا لايبارى فى حياة الأفراد والجماعات على حد سواء فهى بمثابة المنظم للحياة العاطفية والمعرفية، وبواستطها نستطيع أن نتحكم تحكما إراديا فى دوافعنا الانفعالية الراهنة. كذلك تتبنى عليها أحكامنا على قيمة الأشياء، كما تتبنى عليها مبادئنا الأخلاقية أيضا، لأن هذه المبادئ تتشكل بواسطة أحكامنا على هذه القيم الخلقية.

ومن هنا كان هناك ثلاث عواطف رئيسية هى: (الحب، والكراهية، والإحترام). ولكن يختلف الإحترام عن الحب فى خلوه من الانفعال الحانى أو احتلال هذا الانفعال لمكانة ثانوية فيه. بينما يحتل هذا الانفعال الحانى مكانة رئيسية فى الحب. أما المكونات الأساسية للإحترام، فهى حالات اثبات وإنكار الذات. أو الشعور الإيجابى والشعور السلبى بالذات. كذلك يتميز الاحترام عن الحب بدخول الشين أو الشعور بالعار كأحد الانفعالات القوية المكونة له. فالإحترام اذن، ينبنى على أساس انفعالات حول الذات، وأقوى هذه الانفعالات اعتبار الذات. لكنه مع ذلك يتجه نحو الغير، أى تمكننا هذه العاطفة من احترام الغير. فكيف يحدث ذلك؟ يجيب "مكدوجال" بأننا نحترم من يحترم نفسه. وأن احترامنا للغير ماهو إلا انعكاس تعاطفى لاحترام الغير لنا. ونحن لانحترم شخصا إذا أظهر هو احتراما لنفسه، ومهما كنا نعجب به أو نحبه، والحقيقة الشائعة التى تقول: أننا قد نحب دون أن نحترم وقد نحترم دون أن نحب وتبين بوضوح الفرق الأساسى بين طبيعتى هاتين العاطفتين: الحب والاحترام (منيرة حلمى، ٢٨، ١٩٩٦)

ذلك أن الحب هو الذى يسمو على مطالب الحس، ولا تدنسه شهوات الأبدان". ولعل فى حقيقة الترفع عن شوائب المادة، والسمو إلى نورانية الروح، هو ماجعل من الحب شوق يدفع إلى الحصول على المعرفة والخير والجمال. حيث يبدأ الإنسان بحب الأشكال الجميلة، ثم يرتقى إلى حب النفوس، ثم حب ثمرة النفس وبخاصة القوانين الإنسانية، وينتهى فى آخر الأمر إلى حب المعرفة لذاتها، وهكذا نتدرج فى الرقى حتى نبلغ مدارجوالحق والخيروالجمال.

والحب وحده يستطيع الصفح، مادام الحب وحده يعرف تمام المعرفة كيف يفتح ذراعيه للشخص، كيفما كان، إلى حد الاستعداد الدائم للصفح عما بدر منه، وأنه من اللازم أن يظل الصفح خارج اعتباراتنا وحساباتنا. ويوافق الحب، وما يمثُّله في دائرته، الاحترام في مجال الشؤون الانسانية الواسع. ويشير الاحترام إلي نوع من الصداقة بلا حميمية ولا قرب، إنه تقدير للشخص من خلال المسافة التي يضعها العالم بيننا، ولا يخضع هذا التقدير لمزايا يمكن أن تثير إعجابنا، ولا لأعمال يمكن أن تحظى بإجلالنا.

وعليه يعتبر اختفاء الاحترام في أيامنا هذه، أو قل لم تعد القناعة بأن الاحترام لا يكون واجبا إلا في حق من ينالون تقديرنا أو إعجابنا، عَرَضا واضحا من أعراض عملية نزع الطابع الشخصي عن حياة العامة والاجتماعية. على أية حال، فان الاحترام الذي لا يهم إلا الشخص يكفي ليكون ملهما للصفح عما اقترفه الشخص، مراعاة وتقديرا له. غير أن الاحترام نفسه، المنكشف في العمل والكلام الذي يبقى موضوع الصفح هو السبب العميق الذي يفسر كيف يتعذر على أي كان الصفح عن نفسه بنفسه. وهكذا كما في الكلام والعمل، نخضع للآخرين الذين يروننا في صورة فريدة نعجز عن رؤيتها بأنفسنا. فبتقوقعنا على ذواتنا لن نستطيع الصفح لبعضنا البعض عن أتفه السيئات وذلك في غياب معرفة بالشخص الذي لأجله يكون الصفح ممكنا".

حيث يعانق الحب الصفح، وينحني الاحترام أمام التسامح، وتُغري الصداقة العيش المشترك، إن الحب الإنساني هو معنى بقيم الاحترام، لأن الحب معرفة، تقصد موقفا فعّالا، يعرف ثمار المحبة ومآلات التسامح وعواصف الحقد وأعاصير الكراهية، التي تهدّد العيش المشترك، فحذاري من الواقعة.. ليس لوقعتها كاذبة.. ولنجعل المحبة والتسامح والاحترام قيما سامية لحياتنا (نور الدين برحيلة، ٢٠١٦).

وإذا كان الفلاسفة التقليديون قد درجوا– تحت تأثير الديانات القديمة– على اعتبار القيم ثلاثا، ألا وهى الحق والخير والجمال، فإن الفيلسوف المعاصر لم يعد يجد حرجا فى أن يضيف إلى هذه القيم الثلاث قيمة رابعة، ألا وهى الحب الذى يخلع على تلك القيم الثلاث كل مالها من قيمة، وبذلك أصبح الفيلسوف هو أقدر الناس على الحديث عن الحب لأنه وحده هو الذى يعرف "أنك لكى تفسر الحب فلابد لك من أن تمضى إلى ماوراء الحب" (زكريا إبراهيم، ٣٥).

فلقد لفت كثير من المفكرون الأنظارإلى تلك الصلة الوثيقة بين الحب والجمال، فقد كان أفلاطون ينظرن إلى الحب على أنه الظمأ إلى الجمال، ذلك لأن الجمال يعكس التعبير عن الحاجة إلى الحب، فالحب بهذا المعنى هو أن يجد الإنسان فى صورة محبوبه الجمال الحقيقى، والكمال الحقيقى. من هنا كان لزاما علينا أن نتطرق إلى مفهوم الحب من مناحى عديدة مختلفة.

الحـــب لغـــة واصطـــلاحـــا:

الحبّ لغةً: هو الوداد والميل الشديد ويقابله البغض والتنفّر، ويأتي على معانٍ فيقال: أحببت الشيء فهو محبّ واستحببته مثله، ويكون الاستحباب بمعنى الاستحسان، وحابيته حبابا

من باب قاتل، والحِبّ إسمٌ منه، فهو محبوب وحبيب وحِبّ، والأُنثى حبيبة، وجمعها حبائب، وجمع المذكّر أحبّاء، وحباب الماء تكسّر الموج الصغار، والحُباب ضرب من الحيّات، ويقال أحبّ البعير إحباباً إذا لصق بالأرض فلم يبرح، والحبّة بذر والحَبُّ معروف من الحنطة والشعير، والحَبُّ بزور الرياحين ومن هذا الباب: حبّة القلب سويداءه، ويقال ثمرته، ويأتي وصف القِصَر، فالحباب الرجل القصير، والحَبَب تنضّد الأسنان، والحَباب من الماء النفاخات، والمحبّة أبلغ من الإرادة، والاستحباب أن يتحرّى الإنسان في الشيء أن يحبّه.

والحبّ مجرّداً: استعماله الصحيح في الفصيح أن يكون لازما، كالتعب والبغض، يقال: تَعِبَ وبَغُض وحَبَّ أي صار تعبا وبغيضا وحبيبا. وبهذا المعنى استعملت في الآيات الكريمة، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مما يدعوننى إليه﴾[1].

كما يمكن تعريف الحب من جهة كونه حبيباً. ويأتي الحبّ بمعنى الإحباب، فهو متعدٍّ بمعنى جعله حبيباً، وميله إليه مع العلاقة، والإحباب من الله تعالى لطف وتوجّه وإحسان وإكرام وإفضال، وعدمه منه تعالى قطع تلك الألطاف والمراحم، نعوذ به منه كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [6].

وأمّا التحبيب فهو إحباب إذا كان النظر إلى جهة الوقوع. وأمّا الحَبّ فهو من ذلك المعنى، من جهة كونه حبيباً للزارع، ونتيجة عمله، ومنتهى مقصده، وميله وتوجّهه. وأمّا اللزوم والثبات واللصوق فمن لوازم المحبّة، وسائر المعاني كلّها مجازات بمناسبات مخصوصة [14].

على حين ذهب "ابن منظور" (١٩٩٨) إلى أن الحب لغة يدور حول خمسة محاور تعكس مدلول الحب من تلك الناحية جاءت كالتالى (البياض والصفاء، والعلو والظهور، واللزوم والثبات، واللب، والحفظ والإمساك) (ابن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، د.ت.، ص ص ٧٤٢ – ٧٤٣).

الحبّ اصطلاحاً:

أما عن المعنى الاصطلاحى للحب: فهو الميل الباطني والقلبي نحو المحبوب، ويقابله البغض والكراهة. وقيل: الحبّ عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذّ، فإن تأكّد ذلك الميل

وقوى سمّي عشقآ. وقيل: ميل الطبع إلى الملائم الملذّ، ولا يتصوّر حبّ إلّا بعد معرفةٍ وإدراك، وكذلك لا يتّصف بالحبّ جماد. ولا يحبّ الإنسان ما لا يعرفه ولم يدركه، فالحبّ من خاصّية الحيّ الدراك، بعد حصول الإدراك بالفعل. ثمّ لمّا كانت المدركات منقسمة إلى ما يوافق طبع المدرك ويلذّه، وإلى ما يخالفه ويؤلمه، وإلى ما لا يؤثّر فيه بإلذاذ وإيلام، **فالقسم الأوّل** يكون مرغوبآ عند المدرك، ويسمّى رغبة، وميله إليه حبّآ، **والقسم الثاني** يكون منفوراً عنده، وتسمّى نفرته عنه كراهة وبغضآ، **والثالث** لا يوصف بميل أوكراهية، فلا يوصف بكونه محبوبآ ولا مكروهآ. ثمّ اللذّة لمّا كانت عبارة عن إدراك الملائم الملذّ ونيله، **فالحبّ** هو الميل والرغبة إليه، لا يخلو عن لذّة محقّقة أو خياليّة، **وعلى هذا فيمكن أن تعرف المحبّة بأنّها ابتهاج النفس بإدراك الملائم ونيله، ثمّ المدرك إن كان ممّا يستحسن** حبّه شرعآ وعقلا، كان كراهته وبغضه من الرذائل وحبّه من الفضائل، وإن كان ممّا يذمّ حبّه، كان بالعكس من ذلك.

لمّا كانا الحب والكراهية تابعين للإدراك، فإنّهما ينقسمان بحسب انقسام القوّة المدركة التي هي الحواسّ الخمسة الظاهرة والحواسّ الباطنة، والقوّة العاقلة، **فمن الأوّل** الصور الجميلة المرئيّة والنغمات الموزونة والروائح الطيّبة والملبوسات الليّنة وما شابه ذلك، **ومن الثاني** كالصور الملائمة الخياليّة والمعاني الجزئيّة الملائمة بالنسبة إلى المتخيّلة والواهمة، **ومن الثالث** كالمعاني الكلّية والذوات المجرّدة، ولا ريب أنّ الثالث منها أقوى اللذات وأبلغها، فإنّ البصيرة الباطنة أقوى وأنفذ من البصيرة الظاهرة، والعقل أشدّ إدراكآ من الحسّ، فالجمال الباطني أكثر لذّةً من الجمال الظاهري ، والمعرفة الباطنيّة أقوى من الظاهريّة.

للحبّ أيضا من المعاني الإضافيّة الكثير، فهو رابط بين المحبّ وحبيبه، والإنسان يمتلك غرائز، منها غريزة الحبّ، ويتجلّى هذا الحبّ وهذه الغريزة في سلوكه وحركاته وسكناته، وبهذا المعنى ومن هذا المنطلق يمكن تقسيم الحب باعتبار متعلّقاته إلى الحبّ **المذموم** والحبّ **الممدوح**، كما ينقسم إلى الحبّ **المجازي** والحبّ **الحقيقي**، فبداية الحبّ هو الميل الباطني الجزئي الذي يوجد في تمام المخلوقات المتكاملة، فكلّها محبّة في ذاتها تتحرّك بحركة جوهريّة للوصول إلى كمالها المنشود فيها، فالنواة تطوي مراحل كمالها، لتكون نخلة باسقة، والنطفة تسبح في تكاملها.

من هنا كان الحب والكراهية وجهان لعملة واحدة، يقول الغزالي: كل واحد له من الحب والبغض داء دفين في القلب، إنما يترشح عند الغلبة، ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين

في المقاربة والمباعدة، وفي المخالفة والموافقة. فقد نجد على سبيل المثال حين يلتقى اثنان في علاقة غير مشروعة ومنزوعة الحب فإنهما يكرهان بعضهما، وربما يكرهان أنفسهما بعد الإنتهاء من هذه العلاقة الآثمة ويحاول كل منهما الإبتعاد عن الآخر والتخلص منه كأنه وصمة، أما في حالة اللقاء المشروع في كنف الحب فإن مشاعر المودة والرضا والإمتنان تسرى في المكان وتحيط الطرفين بجو من البهجة السامية (أحمد عبده، ١٥٩، ٢٠١٤).

يؤكد هذا المعنى قول ابن القيم: يجتمع القلب بُغْض أذى الحبيب وكراهيته من وجه، ومحبته من وجه أخر، فيحبه ويبغض أذاه، وهذا هو الواقع، والغالب منهما يورى المغلوب، ويبقى الحكم عليه، وبذا يتضح معنى الكراهية باعتبارها ضد الحب وبضدها تتميز الأشياء. (العرجاوى، ١٤٢٤، ٧٢).

تعريف الحب من مناحى مختلفة:

لقد تعددت التعريفات واختلفت حول مفهوم الحب بوصفه انفعال يعترى الإنسان فيجعله يعيش حالة من الأنس والمؤانسة فى عالم يحلق فيه ويهيم شوقا وأنسا وقيمة لتعلقه بعاطفة تجاه أخر يرى أنه هو سر وجوده وأنسه به وإرتباطه القوى بوجوده فى عالم عزت فيه الرومانسية مما يقيم الدليل على أن الحب ليس مجرد وظيفة بيولوجية تتكفل بتفسيرها الغريزة الجنسية، بل هو ظاهرة إنسانية معقدة تتداخل فيها اعتبارات القيمة، والحاجة إلى التغلب على الإنعزال النفسى، والنزوع إلى الخروج من مرحلة الأنانية أو النرجسية، والرغبة فى التلاقى مع الأخر، والميل إلى الاتحاد بالأخر مع الإبقاء فى الوقت نفسه على الثنائية ..إلخ وربما كان الخطأ الأكبر الذى يقع فيه أصحاب اللغة البيولوجية هو أنهم يخلطون بين الحب والجنس فى حين أن التجربة تشهد بأنه قد يكون هناك حب بدون جنس، وكما قد يكون هناك حب بدون جنس، فقد يكون هناك جنس بدون حب.

ولهذا فقد تعددت تعريفات الحب كاغريزة عاشها الإنسان منذ أن نشأ على ظهر الأرض وإلتقت عيناه بعين الآخر من الجنس المقابل له، وظلت هذه العاطفة ملازمة له حتى موته، فلقد عاش الإنسان بالحب ومازال، وكانت تجربة المحبين شاهدا على ذلك، فلقد تغنى به الشعراء، ونظر له الفلاسفة والحكماء والمفكرين، وأسس له المتصوفة والمتعبدين، مما جعلنا نتسائل عن كنه هذه العاطفة؟ وعن معناها أيضا؟

- إذا فما هو الحب؟ وما هو مفهومه؟ وماهى مراتبه؟.

فالحُبّ: هو حاجة إنسانية عظيمة تعادل في مفهومها معنى الحياة، وتتعدد أوجه الحُبّ وأنواعه تبعاً لاختلاف المراحل التي يمرّ بها الإنسان أثناء حياته، بالإضافة إلى اختلاف الظروف المحيطة بنا والتي نعيشها منذ نعومة أظفارنا، فمثلاً يبدأ الإنسان حياته بحُبّه لوالديه وتعلقه بهما، ثمّ ينشأ الحُبّ الأخوي مع أصدقائه، ثمّ يأتي الحُبّ للجنس المختلف،

والحب هو: "حالة وجدانية، فيها رغبة من قبل المحب في إمتلاك محبوبه، وأن يتعين به، والرغبة في أن يسعده ويلذه، وأن يواصله، وأن يجد لديه صدى لحبه فيبادله حبا بحب، وأن يسعد به وبقربه".

والجدير بالذكر أنّ الإنسان أيّاً كانت ظروفه وصفاته فلا بُدّ من أن يتوق إلى إنسان آخر يحبّه ويحبّ ذاته، وعادةً ما يُسمّى هذا الإنسان بالنصف الثاني، ويمكن القول: إنّ الإنسان في محاولة دائمة لأن يجعل من نفسه شخصاً محبوباً، ويبذل جهداً كبيراً ليجذب إليه الأخرين، وللتأكيد على أهميّة الحبّ في حياة الإنسان فإنّ علمَي النفس والاجتماع يُظهران أنّ المشكلات الأساسية في حياة الإنسان والاضطرابات في سلوكه ونفسيّته؛ هي نتيجة نقص الحُبّ في حياته.

والحب أيضا هو : "إحساس داخلى جاهز وفطرى في داخلنا ينمو إذا واتته الظروف وهو ينمو دائما من الداخل، والحب هو ميل الطبع في الشيء الملذ وهو عاطفة مركبة" .(كايد الشايب، ٢٠٠٢)

وكما يعنى الحب كذلك: "تعلق روح بروح، واشتباك نفس بنفس، دون النظر إلى جمال جسد، أو حسن مظهر، والحب هو عمى العاشق عن عيوب المعشوق". لما كان الحب ليس مجرد احساس عاطفى يمكن للإنسان أن ينغمر فيه بسهولة من قبل أى إنسان بغض النظر عن مستوى النضج الذى وصل إليه مالم يحاول محاولة أكثر فعالية لتطوير شخصيتة الكلية وذلك لكى يحقق الإنسان من وراء هذا الحب هدفا منتجا، وذلك هو الاشباع للحب الفردى والذى لا يمكن الحصول عليه بدون مقدرة على محبة الجار وبدون التواضع الحق والشجاعة والإيمان والنظام، وعندما تكون هذه الصفات في حضارة ما نادرة ،فإن إجتيازالقدرة على الحب يجب أن تظل تحققا نادرا (عادل صادق، ٢٠٠٨، ٧).

لذلك كان الحب تجربة شخصية بل وشديدة الخصوصية أيضا لذا لا يمكن أن تكون لدى كل إنسان إلا بنفسه ولنفسه، وفى الحقيقة لا يكاد يوجد شخص ليست لديه هذه التجربة

بطريقة أولية على الأقل سواء كان طفلا، أو مراهقا، أوراشدا. من هنا كان الحب: "إحساس داخلى جاهز وفطرى في داخلنا ينمو إذا واتته الظروف، وهو ينمو دائما من الداخل. والحب هو ميل الطبع في الشيء الملذ وهو عاطفة مركبة (كايد الشايب، ٩٧، ٢٠٠٢).

قيل لبعض العلماء: إن إبنك قد عشق فقال: الحمد لله الآن رقت حواشيه، ولطفت معانيه، وملحت إشاراته، وظرفت حركاته، وحسنت عباراته، وجادت رسائله، وجلت شمائله، فواظب المليح، وجنب القبيح. كما سئل أيضا أحد العلماء يوما وقيل له: هل سلم أحد من العشق فقال: نعم الجلف الجافى الذى ليس له فضل ولا عنده فهم.

من هنا فقد يحدث الحب في تلك اللحظة التى نستشعر فيها تلك الحاجة الغامضة إلى التلاقى بحثا عن ذلك الموجود الذى يمكن أن نتركز حوله أو نتثبت عليه لإدراكنا أن السعادة هى في التلاقى مع ذلك الآخر الذى يسكن في أعمق أعماق أعماقنا.

الحُـبّ مـن وجهـة نظـر فلسفيـة:

الحُبّ في الفلسفة هو عبارة عن كلمة غير مرتبطة بشيء حقيقي أو محسوس، ويمكن القول إنّه شيء لا يمكن إدراكه بالعقل أو شرحه بالمنطق، وإنّ الحُبّ هو ما يجعل الإنسان يظهر بشخصيته الحقيقيّة. قد بدأت فلسفة الحُبّ عند الإغريق، حيث كانوا يرون أنّ الحُبّ هو من الدعامات الأساسية للفلسفة، وشرعوا في بناء النظريات المُتعددة التي طوّورت الحُبّ من مفهومه المادي إلى مفهومه الروحي في أعلى سِماته، مروراً بكون الحُبّ صفةً أساسيّةً وجينيّةً تظهر آثارها في سلوك الكائنات الحية، أمّا في التقاليد الغربية فقد ظهر الفيلسوف أفلاطون الذي نادى بكون الحُبّ سلسلةً من المشاعر والأحاسيس التي تسيطر عليها الرغبة الحيوانيّة.

إنّ أيّ مناقشة فلسفيّة حول موضوع الحُبّ تبدأ بالحديث عن طبيعته؛ فقد رأى بعض الفلاسفة أن الحُبّ لا يمكن التعبير عنه منطقياً أو إدراكه بالعقل، أمّا النُّقاد لهذه النظرية فرأوا أن الحُبّ يمكن التعبير عنه، فهو إخراج الإنسان لمشاعره التي تتحدى العقل. فلم يتمّ الاعتراف بمصطلح الحبّ أساساً في بعض اللغات، مثل: لغة البابوا، لكن كانت له عدّة مفاهيم ومصطلحات في لغات عديدة؛ ففي اللغة الإنجليزية يُعبّر عن الحُبّ بكلمة (love) ، وتم اشتقاقها من الكلمة السنسكريتية (lubh) التي تعني الرغبة، والحب فى اللغة الفرنسية Lmour وفي اللغة اليونانية يُعبّر عن الحُبّ بعدة مصطلحات، مثل: إيروس (باليونانيّة (Eros :، وفيليا(Philia) باليونانية وأجابيه باليونانيّة (Agape) يُستخدَم مصطلح إيروس عادةً للإشارة إلى الحُبّ الذي يشكّل رغبةً عارمةً بشيء ما، أو ما يعبّر عن الرغبة العاطفية، وعادةً ما يُشار إلى هذه الرغبة بأنها الرغبة الجنسية،

أمّا عند أفلاطون وسقراط فيُشار بكلمة إيروس إلى الرغبة التي تسعى نحو الجمال الحقيقي؛ حيث يرى أفلاطون وسقراط الحُبّ الذي يتولد ويسعى إلى الجمال هو حُبّ باقٍ ما بقي الإنسان، أما عند أرسطو فقد كان االحب يعبر عنه بقوة الشوق المنبثقة فى العالم، والتى تحرك هذا العالم فى إتجاه الإله هو التحقق التام للحب، كما أهتم أرسطو أيضا بالبحث فى الحب تحت أسم الصداقة، وهكذا فإن الحب بالمعنى الفلسفى كما جاءعند اليونان على ثلاثة أنماط أو أشكال فهو قد يكون بمعنى "الإيروس العشق، أو اجابية بمعنى المحبة، أو فيليا بمعنى الصداقة".

على حين يرى "ليديل" أنّ إيروس نوع من الرغبة العاطفية، التي تتعلق بالرغبة الجنسية عادةً، في حين يصف "نيغرين" إيروس بأنّها كلمة تعبر عن حُبّ الرغبة بشيء ما، وهي كلمة تتمركز حول الذات الإنسانية، أمّا "سوبل" فيرى أنّ إيروس تصف الأنانية، وهي كلمة بعيدة عن الجنس، كما وصف "الحبّ الإيروسكي" بمعنى أن تحبّ شيئاً؛ أي أن تستجيب لرغباته (محيي الدين ابن عربي، ٢٠٠٤).

من هنا سيكون علينا بالضرورة أن نتسائل، هل الحب الإنسانى حقيقة لها وجودها؟ أم هو مجرد وهم خداع؟ وهل يقتصر الحب على علاقة الإنسان بالإنسان، أم أن هناك صورا آخرى من الحب؟ وهل تتحدد طبيعة الحب وفقا لنوع الحب، وهل يصح القول: بأن الحب الجنسى هو الأصل الذى ترتد إليه كل أشكال الحب؟ وهل الحب هو مجرد عاطفة، أم هو "فعل عرفانى"، أم هو نزوع نحو القيمة؟ أم هو شيء آخر غير كل هذا؟ وهل يقوم الحب على التباين والإختلاف، أم على التشابه والأتفاق؟ وهل يمكن القول: بأن الحب هو مجرد امتداد لحالة الأنانية، أم أنه علاقة لا علاقة بينه وبين حب الذات؟ وهل من الصحيح أن حب الأم هو أعلى صور الحب؟ وهل يتولد الحب حقا من النظرة الأولى؟ وهل هو يدوم، أم أنه لابد له من أن يموت؟.

أو بعبارة أخرى هل يصح أن نقول مع بعض الشعراء: أن الحب تجربة تبغى لنفسها الخلود، ولكنها لا تعيش سوى عمر الورود؟ وهل الحب أعمى– كما يقال– أم هو مبصر ترى عيناه مالا تراه أعين الغرباء؟ وهل ينبغى لكتمال تجربة الحب أن يحب المرء، وأن يكون محبوبا فى ذات الوقت، أم قد يكون هناك أحيانا حب حقيقى لا أثر فيه للتبادل؟ وهل يرتبط الحب بالسلم والسكينه والطمأنينه، أم هو صراع غرامى يقترن بالحركة والمواجهة والتحدى المستمر؟ وهل من تعارض بين الحب والواجب، أو بين الحب والأخلاق البشرية والخبرة الدينية، أم لا موضع لمقارنة

حالة النشوة الدينية بحالة الخبرة الجنسية؟ وهل هناك علاقة ضرورية بين الحب والألم، أو بين الحب واليأس؟ وماهو الفارق بين الحب اليونانى الذى يسمونه الأيروس Eros والحب المسيحى الذى يسمونه الأجابيه ?Agap؟ وأخيرا هل هناك موضع للحديث عن الحب فى مجتمع آلى يحيل الأشخاص البشريه إلى مجرد تروس فى عجلة الجهازالإجتماعى الكبير؟..إلخ.

أسئلة تطرح نفسها لكى نجد لها من إجابة لأنها فى مجموعها تكون ما يمكن تسميته بمشكلة الحب، وليس من قبيل الصدفة أن تكون كلمة "الحب" فى لغتنا العربية كلمة مفردة لا جمع لها، فإن هذه الحقيقة وحدها لهى اعتراف ضمنى بما لضروب الحب المتنوعة من ماهية مشتركة، وبالتالى فإنها بمثابة تأكيد أولى لوحدة المشكلة التى نحن بصددها. ولكننا مع ذلك نلاحظ أننا قلما نتحدث عن "الحب" دون أن نلحق به صفة، أو تابعا أو موضوعا، أو مضافا، أو مضافا إليه، على سبيل المثال عندما نتحدث عن (ربيع الحب ومرض الحب، وخطيئة الحب، وخداع الحب، وجنون الحب، وجمال الحب، وزوال الحب،..ألخ). وكل هذه العبارات تدلنا على أن الحب تجربة إنسانية تحتاج دائما إلى موضوع تنصب عليه إبتداء من حب الطعام حتى حب الله.

حقا إن الإنسان يحن إلى الحب الخالص وينزع نحو السلام العميق الذى لا تشوبه شائبة من صراع أو حرب، ومن هنا فقد كان تصوره لله باعتباره "المحبة" المطلقة و"السلام" الحقيقى الذى يفوق كل عقل! ولكن هذه المحبة الإلهية نفسها قد شاءت– فى جلال فيضها– أن تخلق الإنسان، حتى لا يبقى غير ذات موضوع، فكانت الخليقة البشرية هى الموضوع الأسمى للحب الإلهى.

أما الفلاسفة المسحيون فقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا إن الله وحده هو الذى يستطيع بفعل محبته الفائقة لكل عقل أن يخلق موضوعات تكون جديرة بتلك المحبة الإلهية، ولكن التجربة– مع الأسف– لم تلبث أن أثبتت لنا أن الموضوعات التى خلقها الله لم تستطع أن تظل جديرة بمحبته، بل هى سرعان ماارتدت ضد خالقها، فبادلت الخالق حبا بكراهية، وسلما بعداء، ولم يكن غريبا أن يعرف التمرد طريقه إلى قلب الموجود البشرى، فقد ألقت السماء بذورها على الأرض، وكانت تعلم حتما أنها لابد من أن تنبت فى قلب الإنسان أشواك الكراهية وورود المحبة، ولم يعد فى وسع الإنسان سوى أن يهتف: "الله محبة"، ولكنه مع ذلك هو الذى جبلنى مزيجا من المحبة والكراهية والبغضاء". وكان طبيعيا بعد ذلك أن يتسائل الإنسان" كيف إرتضى الحب الإلهى أن تنشب الكراهية أظافرها الحادة فى جسد تلك الخليقة الرائعة". إن الحب والكراهية وجهان لعملة واحدة، يقول الغزالي: كل واحد له من الحب والبغض داء دفين في القلب، إنما يترشح عند الغلبة، ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة، وفي المخالفة والموافقة.

يؤكد هذا المعنى قول إبن القيم الجوزية: يجتمع فى القلب بُغْض أذى الحبيب وكراهيته من جهه، ومحبته من جهه آخرى، فيحبه ويبغض أذاه، وهذا هو الواقع، والغالب منهما يورى المغلوب، ويبقى الحكم عليه، وبذا يتضح معنى الكراهية باعتبارها ضد الحب وبضدها تتميز الأشياء (العرجاوى، ١٤٢٤، ٧٢).

من هنا جاء تعريف "تحية عبدالعال للحب love" بأنه:

"إنفعال تعيشه النفس مختارة لا مجبرة أو حائرة، ميالـه لا كارهة، ومتحررة لا مرغمة ولا تابعة، وسعيدة لا مندحرة أو مضجرة، وصافية لا منكدرة، وعاشقة لا كارهة، وطائعة لا – رافضة، هائمة لا غائمة، ومغبطة لا منكسرة، قديرة لا مستجيرة، وبشوشة لا عبوسة، ومنفرجة لا منحرجة، وفياضة لا مقترة، ومسرورة لا حزينة، ومنطلقة لا مقيدة، ومساعدة لا متوعدة، ومستدخلة لا طاردة، ومتعاونة لا متخاذلة، ومنسابة لا محتجبة، ومهابة لا معابة، ومعصومة لا موصومة، وسوية لا منحرفة، وتقية لا فاجرة، ومتألقة لا متشرنقة، متفائلة لا متشائمة، وراضية لا قانتة، ومطمئنة لا هلعة، نقية لاموزورة، وفاهمة لا ناقمة، ومؤزرة لا معسرة، ومتباهية لا غانية، حانية لا باغية، ومتمنية بالوفرة لا بالزوال راجية، وللعهد حافظة لا بالغدر فاضحة، وقانعة لا بنعمة ربها جاحدة، رافلة بالنعيم لا منكرة للجميل، تتمنى الخير العميم لا ساخطة على كل ما أتاه الله من خير وفير، بالحب معترفة لا للكراهية منجرفة، منفتحة لا منغلقة، وصبورة لا قنوته، و حالمة بالخير لا بالجور موصوفة. وبعكس تلك الصفات تحل الكراهية محل الحب.

- من هنا فقد نتسائل: هل الحب الإنسانى حقيقة لها وجودها؟ أم هو مجرد وهم خداع؟ وهل يقتصر الحب على علاقة الإنسان بالإنسان؟ أم أن هناك صورا أخرى من الحب؟ وهل تتحدد طبيعة الحب وفقا لنوع الحب؟ وهل يصح القول بأن الحب الجنسى هو الأصل الذى ترتد إليه كل أشكال الحب؟ وهل الحب هو مجرد عاطفة؟ أم هو "فعل عرفانى"، أم هو نزوع نحو القيمة؟ أم هو شيء آخر غير كل هذا؟ وهل يقوم الحب على التباين والإختلاف؟ أم على التشابه والأتفاق؟ وهل يمكن القول: بأن الحب هو مجرد امتداد لحالة الأنانية؟ أم أنه علاقة لا علاقة بينه وبين حب الذات؟ وهل من الصحيح أن حب الأم هو أعلى صور الحب؟ وهل يتولد الحب حقا من النظرة الأولى؟ وهل هو يدوم، أم أنه لابد له من أن يموت؟.

أو بعبارة أخرى هل يصح لنا أن نقول مع بعض الشعراء: أن الحب تجربة تبغى لنفسها الخلود، ولكنها لا تعيش سوى عمر الورود؟ وهل الحب أعمى– كما يقال– أم هو مبصر ترى عيناه مالا تراه أعين الغرباء؟ وهل ينبغى لاكتمال تجربة الحب أن يحب المرء، وأن يكون محبوبا فى ذات الوقت، أم قد يكون هناك أحيانا حب حقيقى لا أثر فيه للتبادل؟ وهل يرتبط الحب بالسلم والسكينه والطمأنينه، أم هو صراع غرامى يقترن بالحركة والمواجهة والتحدى المستمر؟ وهل من تعارض بين الحب والواجب، أو بين الحب والأخلاق البشرية والخبرة الدينية، أم لا موضع لمقارنة حالة النشوة الدينية بحالة الخبرة الجنسية؟ وهل هناك علاقة ضرورية بين الحب والألم، أو بين الحب واليأس؟ وماهو الفارق بين الحب اليونانى الذى يسمونه الأيروس Eros والحب المسيحى الذى يسمونه الأجابيه ?Agapia؟

وأخيرا: هل هناك موضع للحديث عن الحب فى مجتمع آلى يحيل الأشخاص البشرية إلى مجرد تروس فى عجلة الجهازالإجتماعى الكبير؟ ألخ. أسئلة تطرح نفسها لكى نجد لها من إجابة لأنها فى مجموعها تكون ما يمكن تسميته بمشكلة الحب، وليس من قبيل الصدفة أن تكون كلمة "الحب" فى لغتنا العربية كلمة مفردة لا جمع لها، فإن هذه الحقيقة وحدها لهى اعتراف ضمنى بما لضروب الحب المتنوعة من ماهية مشتركة، وبالتالى فإنها بمثابة تأكيد أولى لوحدة المشكلة التى نحن بصددها. ولكننا مع ذلك نلاحظ أننا قلما نتحدث عن "الحب" دون أن يلحق به صفة، أو تابعا أو موضوعا، أو مضافا، أو مضافا إليه، على سبيل المثال عندما نتحدث عن (ربيع الحب، ومرض الحب، وخطيئة الحب، وخداع الحب، وجنون الحب، وجمال الحب، وزوال الحب،..إلخ. وكل هذه العبارات تدلنا على أن الحب تجربة إنسانية تحتاج دائما إلى موضوع تنصب عليه إبتداء من حب الطعام حتى حب الله.

ومثل هذا الإستعمال قد يوحى بأنه ليس ثمة سوى نوع واحد من الحب، وأن الإختلاف إنما يترتب على اختلاف موضوعات الحب نفسها، وكأن ثمة فارق جوهرى بين حب المرء للطعام، وحبه للاطلاع، وحبه للوطن، وحبه للنساء، وحبه لله.....إلخ. ولكننا لن نلبث أن نجد أنفسنا بإزاء إشكال خطير حينما سيكون علينا أن نتسائل عن "ماهية الحب فى كل هذه الحالات، فهل يكفى أن تكون معظم اللغات قد درجت على استعمال كلمة الحب لوصف كافة أنواع العلاقات الوجدانية التى تربطنا بالأشياء والأشخاص لكى نوحد مثلا بين حب الأم لأبنها، وحب العاشق لعشيقته، بيد أننا

حتى إذا سلمنا بأن هناك من ضروب الحب قدر ماهنالك من موضوعات حب، إذ سرعان مانتحقق من أن ثمة لغات عديدة قد اصطنعها البشر فى حديثهم عن الحب. ومعنى هذا أن التعدد ليس وقفا على موضوعات الحب، بل هو قد يمتد أيضا إلى لغات الحب، فأصبحنا نجد لغة شعرية، ولغة أخلاقية، ولغة بيولوجية، ولغة إجتماعية، ولغة صوفية...إلخ.

وليس من شك فى أن تعدد لغات الحب قد صار معه التفاهم مستحيلا، أو شبه مستحيل بين الشاعر وعالم الأخلاق، وعالم الأحياء، وعالم الإجتماع، والمتصوف، فى حين أنهم جميعا يتحدثون عن شيء واحد بعينه هو ما درج الناس على تسميته بأسم "الحب" ...واللغة الشعرية تربط الحب بالجمال، وتنزع تجربة الحب من محيطها العادى، لكى تسمو بها فوق المستوى البيولوجى والاجتماعى، فلا تلبث أن تمتد بالحب إلى عالم لا واقعى تصبح فيه غانية الشاعر ملكا سحريا لا ككل النساء، وتصير فيه تجربته الخاصة خبرة فريدة لا مثيل لها فى عالم الحب.

من هنا لفت كثير من المفكرين الأنظار إلى الصلة الوثيقة بين الحب والجمال، فقد نظر أفلاطون إلى الحب على أنه الظمأ إلى الجمال، فالجمال هو التعبير عن الحاجة إلى الحب، والحب بهذا المعنى يعكس أن الإنسان يجد فى صورة محبوبه الجمال الحقيقى، والكمال الحقيقى.

لهذا تغنى الشاعر بالحب، ودأب على أن يغذى حبه بالألام، فيحدثنا عن الفراق والحنين، والبين، والحزن والشقاء، والعذاب، والغيرة، والعزول، والزمان، والماضى، والموت، والخلود ..إلخ. ولذلك كانت السمة الخاصة التى تميز اللغة الشعرية فى كل زمان ومكان هى سمة المبالغة أو الإسراف فى التعبير، فالشاعر يتوهم أنه العاشق الأوحد، أو أن عشقه نسجه وحده، أو أن معشوقه ملك نورانى لا يكاد يمت بصلة إلى دنيا الأشخاص، وهو فى كل هذا إنما يردد أقوالا عبر عنها آلاف الشعراء من قبله، ولكنها تبدو على لسانه جديدة كل الجدة، لأنها تعبر عن تجربة إنسانية لابد بالضرورة من أن تولد من جديد على يد صاحبها، وكأن أحدا قبله لم يعرف معنى الحب، وربما كان من بعض أفضال اللغة الشعرية على الحب أنها خلقت منه موضوعا طالما تغنت به قلوب البشر من العاشقين، فكان عزاء لها عن بعض ماتلقى فى الحياة من شقاء وألم ومرارة. حقا إن الحب نفسه قد لا يخلو من مرارة، ولكن اللغة الشعرية قد خلقت من عذاب الحب سحرا عذبا طالما نعمت بمذاقه أفئدة المحبين من العاشقين، وهكذا ارتبط الحب بالشعر، فصار مزيجا من الحقيقة والخيال وأصبح الحديث عن الحب تحليقا فى سماء الشعر والسحر والسر. فألقى عليه، وعلى محبيه عمقا، وقيمة، ومعنى، وبهذا نكون قد أصبنا شيئا من التوفيق فى الكشف عن الدلالة الروحية للحب بوصفه أعمق "تجربة ميتا فيزيقية" عرفها الإنسان منذ أن إنشق فجر الإنسانية، وهل كان الإنسان إلا موجودا مشخصا على أنه عاش ليحب، أو يحب ليعيش؟.

وعلى الرغم من ذلك يرى البعض أنه لا حاجة لنا إلى فيلسوف من أجل فهم "الحب"، لأننا نعرف جميعا– من واقع خبراتنا العادية– ماذا عسى أن تكون هذه العاطفة الإنسانية. ومع ذلك فإن أحدا لا يستطيع أن ينكر أننا قلما نتفق على تعريف ذلك اللفظ الذى تلوكه ألسنتنا، وترددده أقلامنا، ألا وهو لفظ "الحب". هذا وقد حاول صاحب "المعجم الفلسفى" أن يحصر المعانى العديدة لهذه الكلمة فى ثلاثة معان رئيسية، ألا وهى "الميل الإنجذابى" الذى يحقق أى إشباع مادى، و"العاطفة القلبية" التى تنطوى على دلالة جنسية، وأى "اتجاه نفسى يتعارض مع الأنانية"، إلا أننا نراه ليعود فيعترف باستحالة صور الحب المتنوعة إلى هذه المعانى الرئيسية الثلاثة التى أثرت على وصف الحب لمن إعتادوا على وصفه.

- **فـــى وصـــف الحـــب:**

لقد وصف العديد من الشعراء والمهتمين بالوقوف على سر ذلك الشيءالعجيب والذى وصفوه بأنه سر الأسرار الذى يعلوا على الزمان والكلمات، سر قدسى غامض، شيىء غير موصوف، ضياء إلهى يشمل كل جنبات النفس فتشع خيرا وجمالا ودفئا، نورا وضياء يشمل الكون كله مصدره النفوس العاشقة ولا تدرى أنها المصدر.

ولهذا وصفه "**نزار قبانى**" فى أحد قصائده" حين قال:

والحـب علـى الأرض بعـض مـن تخيلنـا لـــو لم نجـــده عليهـــا لأخترعنـــاه"

كما وصفه آخرون بأنه الحقيقة الشاملة، والقمة الشامخة والعمق الأبدى. هو اللا متناهى، والخلود، إنه خبرة إنسانية متكاملة لا نستطيع فهمها إلا فى حالة ممارستها والمرور بها برموزها، والفيلسوف والعالم، إنه مثل القوى التى لا ترى، ولكنها تحس وتؤثر فى وجودنا وتؤثر فى حركة الكون من حولنا، فتظل السماء فوق رؤوسنا بلا عمد.

ولهذا أعتبره (عادل صادق، ٢٠٠٨) بأنه: "أحد هذه القوى الكونية العجيبة حين يربط روح إنسان بروح إنسان آخر،هذه الرابطة التى لا تستطيع أى قوة أخرى أو كل القوى مجتمعة أن تصنعها، أى سر لا تدركه إلا الأرواح المتحابة فهو سر كائن فى أعمق الأعماق، وهو ليس مثل أسرار الكون الغامضة التى يحاول العلم أن يفك طلاسمها، وهوليس مشكلة علمية معقدة يجتهد العقل فى فهم رموزها، ولكن غموض الحب فى أنه كائن فى أعمق الأعماق. وإنه مرتبط بصميم الذات الإنسانية، وكل ذات متفردة. لا توجد قوة مماثلة تربط بين القلوب ...أنه مباغت وخالد فى نفس الوقت، وليس له مقدمات، فهو يأتى من حيث لا نحتسب، وأنه قوة فعالة ومحركة تغير فى الإنسان. ترفعه درجات إلى السماء فتسمو به الروح وتطهر حتى تصل به إلى القمة.

هذه القمة لا يبلغها إلا العاشقون حين تنفتح أمامهم سبلا جديدة وممتدة نحو أفاق أرحب من الجمال المطلق والخير المطلق وحيث يمسكون بأسباب الحقيقة، حقيقة الوجود وتلك نشوى لا تدانيها نشوة، وذلك سرور لا يعادله سرور إنه إنكشاف السر الأعظم، سر لماذا أنا موجود، ما معنى أنا إنسان، وذلك أول لقاء فعلى بين الإنسان ونفسه وبين الإنسان والكون، وبين الإنسان ومصيره، كل ذلك لا يتحقق إلا حين تلتقى ذات عاشقة بذات عاشقة آخرى آى سر إلهى عظيم، آى قوة كونية خارقة تلك التى نجدها فى تلك العاطفة الآسرة التى تأخذنا لكى نبحث عن وجودنا فى ذلك الأخر الذى يقبع فى أعمق أعماقنا.

ولهذا تغنى به "موسيقار الأجيال "محمد عبد الوهاب" حين قال: أى سر فيك إنى لست أدرى، كل مافيك من الأسرار يغرى، يالها من كلمات تعزف بأوتارها على جدران القلب فيذوب عشقا وولها فى دنياه إنه هو الحب بكل مايحمله من غرام وعشق ومعنى بصورة تعكس مايسمى بالحب الحقيقى.

- **ولكـــن مـــاذا عن الحـــب الحقيقـــى؟:**

الحب الحقيقى معناه: "أن تكون لك تلك القدرة العجيبة على النفاذ إلى داخل هذا الإنسان (الأخر) لترى سحره وكماله ونقاؤه وبراءته وطهارته وأن تتعرف على إمكانياته الحقيقية التى سوف تتيح له من خلالك أن يسمو ويعلو ويصبح مثلا أعلى (عادل صادق، ٩٣، ٢٠٠٧).

ولهذا كانت الصعوبة فى وصف الحب تأتى من أنه يمثل مزيج من الإنفعالات التى تختلط وتتواجد فى آن واحد، ذلك الخليط من الفرح والحزن والسعادة والشقاء والألم والراحة والقلق والإسترخاء والعذاب والطمأنينة والخوف والولع والعشق والتتيم والشغف والاستمتاع كل هذه المشاعر مجتمعة أو متناوبة تحقق حالة من النشوة، حالة غريبة محيرة يتواجد عليها الشخص العاشق يحار فى وصفها ولكنه يتمسك بها لأنها تخلقه خلقا جديدا، خليط من المشاعر يمتزج فيخلق حالة انفعالية لا يدركها إلا من عايشها، ومن عايشها يستعذبها، ويدمنها ليتشبث بها فمن خلالها يدرك ما لا يدركه أحد، ويرى ما لا يراه أحد إنه ميلاد جديد، ميلاد عبقرى. يالله من ميلاد جديد لقلب لم تدنسه كراهية البشر أنه الحب فى أسمى معانيه العاطفية.

كما تأتى صعوبة وصف الحب وفهمه أيضا من عدم القدرة على التوصل إلى الأسباب التى جمعت بين روحين أى لماذا أحبها؟ ولماذا أحبته؟، ولماذا هو بالذات؟ ولماذا هى بالذات؟

ولهذا فإن "الحب الحقيقى" يمثل قمة السعادة وأقصى متعة روحية، وأيضا تتحقق من خلاله أقصى متعة جنسية، إنه القمة ...قمة القمم أى شيء آخر فى الوجود يبدو تافها باهتا محدودا ضئيلا. والمحبون يدركون ذلك بغريزتهم وفطرتهم وحدسهم المباشر وحدسهم الداخلى، ولهذا فالحبيب يرعى حبيبه، ويحافظ عليه ويعطيه ويتفانى ويضحى من أجله ويتحمل كل مسئولياته، ومن هنا فإن الخير الحقيقى على هذه الأرض مصدره الوحيد هو الحب. فهل يجوز لنا أن نقول: بأن هناك حب حقيقى يجب أن نكشف عنه النقاب، ونتحدث عنه؟

ذلك أن الحب الحقيقى هو الذى كثيرا ما يحررنا من كراهية الذات إذا يحل محل شعورنا بذواتنا، مع مايقترن به من قلق وتوتر وعذاب، صورة جديدة نقية، بريئة، يستحيل فيها كل سماتنا الجسمية والمعنوية إلى سمات مثالية. وهذه الصورة السامية هى بمثابة الهبة الكبرى التى يقدمها لنا الحب فى مطلع حياته، وكأنما هو يريد أن يحررنا ولو إلى حين من متاعب الشعور بالذات والأنانية، والاحساس بما فينا من نقائص ومثالب وعيوب (٢٥٥).

وهذا الضرب من الحب الفجائى– كما يقول بعض الباحثين– إنما يردنا إلى أصولنا ويعرفنا من نحن، ولولا ذلك لما كان لمثل هذا الكشف الغريب الذى يقض مضاجعنا كل تلك الأهمية القصوى، هذا إلى جانب أن الضمير حينما يغلق بابه على نفسه فإنه سرعان مايجف، ويذبل، ويشقى، أما حين يفتح أبوابه للحب، فهنالك يتحرر من قيوده الباطنية، لكى يجد فى ثراء حياته الجديدة المزدوجة، ملاذ، وغبطة، وسعادة.... وربما كان سحر التجربة الأولى للحب هو أنها تحطم أمام أنظارنا– لأول مرة– تلك الحدود أو السدود التى كانت تفصلنا عن الكائن "الآخر".

ولما كان اختلاف "الجنس" قد يصور لنا الموجود "الأخر" فى صورة الكائن الغريب الذى الذى لا سبيل إلى النفاذ إليه، فإن من شأن تجربة الحب أن تتخذ فى نظرنا طابع "الكشف" الحاسم المطلق، لأنها تقضى على تلك الهوة التى تفصلنا عن الجنس الأخر. وكثيرا مايقع فى ظننا أن الاتصال الجنسى هو الدليل على سقوط كل حجاب بيننا وبين الكائن المحبوب، فنتوهم أن الحب قضاء على كل انفصال، أو تحقيق لأعلى ضرب من ضروب الوصال. ولكن ربما كان من واجبنا أن نتساءل: إلى أى حد يمكن القول بأن الحب امتزاج تذوب معه الفوارق بين المحب والمحبوب؟ وعلى أى نحو يعيش المحبان هذه" العلاقة الوجودية "الجديدة التى قربت بينهما بعد أن كانا مجرد غريبين؟ وكيف تواصل سيمفونية الحب سيرها الإيقاعى بعد هذه النغمة الافتتاحية الرائعة؟ (زكريا إبراهيم، ٢٥٦).

والحب الحقيقى فى اطار العلاقة الزوجية المشروعة قد لا يصبح مرهونا بعدد مرات الجماع أو أوضاعه أو طول مدته أو جمال المرأة، أو قدرة الرجل، فلا لهذه الأشياء الأهمية القصوى فهى أشياء ثانوية فى هذه الحالة، أما حين يغيب الحب تبرز هذه الأشياء كمشكلات ملحة يشكو منها الطرفان مر الشكوى، أو يتفنن فيها ممارسى الجنس للجنس فيقرأون الكتب الجنسية ويتصفحون المجلات، ويشاهدون المواقع الجنسية بحثا عن اللذة الجسدية الخالصة، ومع ذلك فهم لا يرتوون ولا يشعرون بالرضا أو السعادة، لأن هذه المشاعر من صفات الروح وهم جردوا الجنس من روحه، وروح الجنس هو الحب المقدس السامى، فالباحثون عن الجنس للجنس أشبه بمن يشرب من ماء البحر.

ففى وجود الحب يسعى كل طرف لإرضاء الأخر بجانب إرضاء نفسه أثناء العلاقة الجنسية، بل إن رضا أحد الطرفين أحيانا يأتى من رضا الطرف الأخر وسعادته، فبعض النساء مثلا لا يصلن للنشوة الجنسية (الرعشة أو الأورجازم) ولكن الزوجة فى هذه الحالة تسعد برؤية زوجها وقد تصل إلى هذه الحالة وتكتفى بذلك وكأنها تشعر بالفخر والثقة أنها أوصلته إلى هذه الحالة كما تشعر بالسعادة والرضا أنها أسعدته وأرضته ويشعر هو أيضا بذلك. والأمر قد يختلف تماما فى حالة غياب الحب فتتحول العلاقة الجنسية إلى استعراض جنسى بين الطرفين فتتزين المرأة وتتفنن فى إظهار مفاتنها لتسعد هى بذلك وترى قدرتها على سلب عقل الرجل وربما لا تشعر هى بأى مشاعر جنسية أو عاطفية فهى تقوم بدور الإغراء والغواية، وإذا لم تسعفه قدرته الذاتية استعان بالمنشطات لكى يرفع رأسه أمام المرأة فخرا ويعلن تفوقه الذكورى دون اهتمام إذا ما كانت هذه الأشياء مطلبا للمرأة أو اسعادا لها أم لا، المهم أن يشعر هو بذاته. والعكس تماما يحدث عندما يقع الرجل أسيرا لعاطفة غلابة، فإن من شأن هذه العاطفة أن تسلب الرجل فكره وعقله وتميزه فلاستطيع أن يفرق بين عيوب المرأة ومميزاتها، جمالها، وكبواتها، لأن بامتلاك المرأة لتلك الأدوات قد لا تتوافر لدى كل إمرأة تجعلها تخلق من الرجل عبدا بعدما كان سيدا، وهذا لايحدث كما قلنا إلا حينما يقع الرجل فريسة أو أسيرا لتلك العاطفة الغلابة من قبل المرأة فتجعله يقع فى غرامها مأثورا مستلبا (تحية عبد العال، ٢٠٢٠).

وهنا ينبغى أن ننوه إلى أنه فى وجود الحب لا يؤثر شيب الشعر ولا تجاعيد الوجه، ولا ترهلات الجسم، حيث أفادت الخبرة فى مجال العلاج النفسى بأن هناك أزواجا فى الثمانينات من عمرهم يشعرون بنوع من الإشباع الجنسى والعاطفى فى علاقتهم حتى ولو فشلا فى إقامة علاقة

جنسية كاملة، فى حين هناك فتيات فى ريعان الشباب يتمتعن بجمال صارخ ولكنهن يعجزن بالوصول بعلاقتهن إلى نوع من الإشباع الجنسى سواء بالنسبة لهن أو لغيرهن على الرغم من أن علاقاتهن المتعددة، لأن تلك العلاقات تكاد تخلو من الحب الحقيقى والعميق اللازم للإشباع.

من هنا كان الجنس لدى المحبين نوع من التواصل الوجدانى والجسدى وبالتالى فهو يحدث بصورة كثيرة ويؤدى إلى حالة من الإشباع والرضا عن العلاقة، فليس شرطا أن يكون الإشباع هنا فى هذه الحالات إشباعا جنسيا بقدر ماهو إشباع عاطفى، حيث يروى أحد كبار السن بأن متعته الجسدية والعاطفية تتحقق حين ينام بمخدعه مجاورا لزوجته فتلمس ساقه ساقها لا أكثر، هذا يدلنا على أن الإشباع ليس شرطا أن يكون فسيولوجيا جنسيا فقط، وإنما يكن إدراكه على أنه نوع من الإرتواء النفسى يتبعه إشباع جسدى فسيولوجى، أو حتى لا يتبعه فى بعض الأحيان فيكون الإرتواء النفسى كافيا خاصة حين يتعذر الإشباع الفسيولوجى بسبب السن أو المرض.

وهذا المستوى من الوعى الإنسانى، ومن الثراء العاطفى فى وسائل التواصل والتعبير العاطفى يحمى الرجل والمرأة من مخاوف الكبر والشيخوخة، أو الشعور بقرب النهاية لأنه يعطى الفرصة للإستمرار حتى اللحظات الأخيرة من العمر فى حالة التواصل الودود المحب الذى يحفظ ود العلاقة ويؤكد على الرغبة فى إستمرارها، بل ربما لا نبالغ إذا قلنا أن الزوجين المحبين ذوى الوعى الممتد يشعران بأن علاقتهما ممتدة حتى بعد الموت فهما سيلتقيان حتما فى العالم الآخر ليواصلا مابدأه فى الدنيا من علاقة حميمة فى جنة الله فى الآخرة، وهذا هو أرقى مستويات الوعى الإنسانى، وأرقى مستويات العلاقة الحميمة. (أحمد عبده، سيكولوجية الحب، ١٦٢، ٢٠١٤).

وهكذا فإن الوجود الحقيقى بالنسبة إلى الإنسان إنما يتحقق من خلال تلاقيه مع هذا الأخر أو غيره من الأشخاص، ومعنى هذا أن "الذات" لا تصل إلى مرحلة (الأنية – الأنا الحقيقية) إلا حينما تتلاقى مع ذلك (الآخر) الذى تستطيع أن تخاطبه بلفظة "أنت". أما إذا بقيت متعلقة بطائفة من الأشياء أو "الموضوعات" فإنها لن تستطيع أن تتخطى مرحلة "التمركز الذاتى" الذى يؤدى بها إلى النرجسية.

من هنا نستطيع أن نقول مع (زكريا ابراهيم، ٥٤): "أن الحب إنما ينبعث عن أشخاص، ويتجه إلى أشخاص. ولكن الشخص الذى يتجه نحوه الحب لا يمكن أن يكون هو "الأنا" نفسه مادامت الذات هى فى حاجة دائما إلى "الآخر" الذى يستطيع أن تخاطبه بلفظ "الأنت" أو "أنت".

وهذا يعنى أنه لا يمكن أن يكون ثمة حب حقيقى اللهم إلا إذا كنا أثنين، بحيث تخرج الأنا نحو الأخر، وتقيم معه علاقة شخصية، دون أن تنظر إليه باعتباره مجرد موضوع تتأمله وتتطلع إليه، بل وتعتبره– على العكس– ذاتا حرة تمتلك فردية خاصة وتتمتع بوجود باطنى دفين. أما حين تتخذ الذات لنفسها ذاتا أخرى تكون بمثابة تابع لها فإن هذه الذات الأخرى لن تكون عبارة عن "أنت" بمعنى الكلمة، بل ستكون مجرد شيء لاحق، أو موضوع تابع أو ملكية خاصة، أو صفة من صفات ذلك الجوهر. ذلك لأن الحب الحقيقى لايقنع بأن يجعل من محبيه مجرد صفات ذاتية او لواحق خاصة أو ملكيات عارضة، بل هو يرى فيما حوله جواهر مثله، لأنه يعيش فى عالم "التثنية" حيث تقوم العلاقات الشخصية على أساس المساواة والتقدير وإحترام حقوق الآخرين.

من ثم فإن الحب الحقيقى هوالذى يخلص الأنا من عبادة الذات (النرجسية)، إذ يحطم وحدتها ويتسبب فى فشل أنانيتها، ولكن ليس من شأن هذا الحب أن يضع مكان "عبادة الذات" عبادة الآخر، كما أنه ليس من شأنه أيضا أن يوسع من الأنانية الفردية لكى يجعل منها أنانية مزدوجة، بل هويدفع بالطرفين المحبين إلى النظر فى اتجاه واحد.

والحقيقة أن كثير من الفلاسفة قد حاولوا استخراج الإيثار من الأثرة، بدعوى أن حب الغير ليس إلا مجرد مظهر من مظاهر حب الذات، وأن الغيرية لا تخرج عن كونها صورة منقحة من صور الأنانية، ولكن الحقيقة أن الأنانية ليست محبة مصغرة، أو صورة بدائية من صورالحب أوشكلا أوليا من أشكال التعاطف، بل هو إنكار لكل مايقرره الحب، كذلك لا يمكننا أن نقول: إن الحب هو مجرد أنانية موسعة، بل لابد لنا من أن نؤكد أنه تقرير لكل ما تنفيه الأنانية، ومعنى هذا "أن بين الأنانية والمحبة– على حد تعبير جانكلفتش– هوة غير معبورة: لأن حب الذات مهما اتسع أو امتد وانتفخ، فإنه لن يصبح يوما مركزا لانتشار إشعاعات التضحية، والمحبة، والخير والإحسان" (زكريا إبراهيم، ٥٥).

إذن فإن الذات التى "تحب" هى فى حاجة إلى التخلى عن مصلحتها، والتنازل عن حبها لنفسها، حتى تريد وجود "الأنت" وتحرص على الترقى المستقل لهذه "الأنت" وتعمل جاهدة فى سبيل تنمية قيم تلك "الأنت". ومع ذلك فقد نرى كثير من الناس يخلطون بين الحب والأنانية، فلا يصبح الحب عندهم سوى مجرد "نقطة تلاق" تتقابل عندها أنانيتان جشعتان، تخدم الواحدة منهما نفسها حين تخدم الأخرى، ولا شك أن مثل هذا الحب لابد من أن يستحيل إلى أداة أتصال وانفصال معا مادام الموجودان المتحابان لا يتلاقيان إلا لكى يعمل كل منهما على زيادة حظه من اللذة الخاصة المفضلة، وهنا يكون التلاقى مجرد ذريعة أو مناسبة تسمح لكل من الطرفين بأن يزيد من حدة شعوره بما يملك.

من هنا كان الحب الحقيقي هو ذلك الحب النزيه والصادق، والذى يعد من أعظم التجارب التي مرّ بها العاشقون، والتي قد لا يكتفي بها أي منهم، فهو إحساس عظيم يُسيطر على الكيان، وينقل صاحبه من عالمٍ مُظلم إلى عالمٍ مليء بالأضواء والشموع، وهو يعني الألفة والمودّة المُطلقة اتجاه الطرف الآخر التي تجعل صاحبها غير قادرٍ على إيذائه بأيّ شكلٍ، بل يُقدم سعادته ورفاهيته على نفسه، ويرى منه سبباً لشعوره بالأمان والاستقرار والراحة النفسيّة، حتى وإن تعرّض أطرافه لبعض العقبات فهي لا تُزعزع عواطفهما أو تُغيّرها، بل تُصبح أعمق وأصدق وأقوى من أن تتأثر بها بسهولةٍ، وتمتد لها جذور راسخة تنمو في قلوبهم وتجعلها تفيض بالحب والعطف والمودّة دائماً. وهذا قد يجعلنا نتسائل هل للحب الحقيقى علامات تدل عليه؟

- وهنا يحضرنا سؤال لابد من طرحه لكى نستطيع أن نقف على حقيقة هذا الحب الذى نطلق عليه حبا حقيقيا، هذا الحب الذى يغمر البعض منا لاشك أن له من العلامات التى تؤكد كونية هذا الحب وتؤكد على وجوده.

وفيما يلى عرض لهذه العلامات أو الدلالات التى تؤكد على وجود هذا الشكل من أشكال الحب فى حياة كل منا:

علامات الحب الحقيقي:

هُنالك العديد من العلامات الواضحة التي تُشير إلى مشاعر الحب الصادقة وتترجمها للطرف الآخر بعفويةٍ، ومنها ما يأتي:

١- إشارات الجسد العفويّة تُعبّر بعض الحركات والإيماءات الجسديّة عن سلسلة من المشاعر القويّة، وعاطفة الحب الصادقة التي تسكن المرء، ومنها أيضا.

٢- التواصل غير اللفظي:

من خلال نظرات العيون البريئة بلُطفٍ ورقة، والتحديق في الشريك بشكّلٍ جذّاب يُعبّر عن الاهتمام ويُخفي وراءه مشاعر واضحة تكاد تنطق بها العينين. السعادة التي تُرسم على وجه المرء والتي تتمثل بالابتسامة التي لا تختفي عند وجود الطرف الآخر في المكان، والضحك معه بشكلٍ لطيف وإلقاء الدعابات أو المجاملات اللطيفة والضحك على نكاته، وجمع أكبر رصيدٍ ممكن من البهجة والفرح الذي يشعر به الشخص عند رويته والالتقاء به، والتركيز على الحبيب

والرغبة الواضحة في مُجالسته والبقاء إلى جانبه والجلوس بجواره بشكلٍ مُتعمّد، أو اختيار الوقوف على مقربةٍ منه بدلاً من أيّ شخصٍ آخر، إضافةً للمسات الوديّة والعفوية التي تُشير إلى الانجذاب الواضح له. علامات أخرى تدل على الحب توجد العديد من العلامات الأخرى التي تُشير إلى حب المرء الحقيقي لشريكه،

٣- الشغـــف الكبيـــر:

والرغبة الحقيقيّة بالتعرّف على المحبوب أكثر، ومعرفة شخصيّته واهتماماته وهواياته وكل ما يتعلّق به؛ لفهمه والاقتراب منه أكثر. وضع الحبيب ضمن الخطط والأهداف المستقبليّة للمرء، وجعلها جزءاً هاماً منها بحيث تكتمل سعادة الشخص ونجاحه بنجاح العلاقة معه، أي أنّ له مكان في كل ما يُهم الشخص ويمنحه الدافع للاستمرار والتقدّم. الثقة المُطلقة والشعور بالاعتماد والائتمان على الشريك، بحيث يؤمن به المرء ويُصدقه ولا تُراوده الشكوك حوله وحول علاقاته أو تحرّكاته تحت مُبرر الغيرة أو عدم الثقة.

وكذا الوقوف إلى جانب الحبيب كسندٍ وشخصٍ داعم يُساعده ويمد له يد العون عند الحاجة ويُشجعه على تحقيق أحلامه وطموحاته المستقبليّة. الشعور بالفخر والاعتزاز بالحبيب وتقدير وجوده في حياة المرء، وبالتالي الاحساس بالامتنان والسعادة، إضافةً لمدحه أمام الآخرين والفخر بوجود شخصٍ مميّز مثله في حياة المرء. طُرق التعبير عن الحب الحقيقي رغم وضوح مشاعر الحب العميقة وصعوبة إخفائها إلا أن التعبير عنه للشريك أمر لا بد منه، وذلك باتباع الطرق الآتية: تقديم الاهتمام والعناية بالحبيب يدل الاهتمام على مشاعر حقيقيّة تنبع من أعماق المرء، حيث إنّ حبه لشريكه سيدفعه للعناية به ورعايته، وتوطيد العلاقة معه، وبالتالي الاجتهاد في إسعاده ومنحه الوقت الكافي دائماً وعدم إهماله، إضافةً لتفقد أحواله في حال الانشغال عنه، وإظهار الاشتياق له، والاستماع له عندما يكون مهموماً أو مُنزعجاً، أو عندما يرغب في التعبير عن شعوره ونقاش شريكه أو طلب نصيحته، بحيث يُحافظ كليهما على نقاشٍ ودّيٍ هادئٍ في كلّ الظروف، فيحترمان وجهة نظر بعضهما، ولا يُسيء أحدهما للآخر أو يتعمد إزعاجه مهما كان الخلاف أو عند تعارض وجهات النظر بينهما.

٤- التعبير اللفظي الصريح والاعتراف بالحب:

يعمل الحب بالنسبة للعشاق كمُحركٍ يجعل الكرة الأرضيّة تدور، وسبباً حقيقيّاً للاستيقاظ بأملٍ وبهجة كل يوم، وقد تكون المشاعر العظيمة أكبر من أن يُسيطر عليها المرء أو يُحاول كتمانها، فيبوح لشريكه بها ويعترف له بتلك المشاعر، وقد يستخدم الكلمات الرومانسيّة العميقة والدافئة لشرح وإيصال مشاعره، أو يستخدم العبارات البسيطة لكنها حقيقيّة وصادقة، فيُخبره كم هو عظيم بالنسبة له، وكم أنّ حياته مميّزة بوجوده، وأنه نصفه الثاني الذي يشعر بالكمال بوجوده، وأنّ جميع الأشياء الموجودة في هذه الحياة هي له، وخلقت لإرضائه، وغيرها من كلمات الغزل المُختلفة والمؤثّرة.

٥- كيفية الحفاظ على الحب الحقيقي:

يُمكن الحفاظ على علاقة الحب الحقيقة مع الشريك ودعم نموّها من خلال اتّباع النصائح الآتية:

٦- إدارة خلافات العلاقة وحل المشاكل:

التي قد تعترض الحبيبين بودٍ وتناغم معاً، ومعرفة سببها وآليات حلّها، وبالتالي عدم السماح لها بأن تؤثر على علاقتهما أو تهدد استقرارها. الحفاظ على تواصلٍ هادف وبنّاء بين الأحبة، والاتصال بشكلٍ مُنتظم، ومحاولة إجراء حوارات بين الحين والآخر تشرح لكل منهما نظرة الآخر لآلية سير العلاقة، وبالمقابل إظهار كليهما الاهتمام بالآخر والاستماع له دون مقاطعة، والاجتهاد في فهم مشاعره وشخصيّته. وضع قائمة تُشكّل نقاط ضعف العلاقة بين الحبيبين في سبيل تحويلها إلى نقاط قوّةٍ والعمل على تجاوزها بحبٍ وودّ معاً بالشكل الصحيح دون إيذاء أي منهما. التركيز على مشاعر الحبيب بدلاً من العتاب وإلقاء اللوم، حيث إن الخلاف قد ينتهي والمشاكل لا بد من حلّها لكن المشاعر التي جُرحت قد تحتاج وقتاً حتى تشفى. الصدق والأمانة بين الحبيبين، حيث إنهما من مقوّمات العلاقات الناجحة التي تؤسس وتبني الثقة بينهما والتي بدورها تدعم العلاقة وتزيد من قوّتها وصمودها أمام العقبات التي تعترضهما ما دام كل منهما يؤمن ويثق بالآخر. تحمّل كلا الشريكين مسؤوليّة العلاقة والتعاون معاً للارتقاء بها والحفاظ عليها، إضافةً لإدراكهما عواقب الأفعال والاعتراف بها، ولا يعني ذلك أخذ موقفٍ عندما يُخطئ الطرف الآخر، بل شرح وبيان الأمر له وتأثيره عليهما بشفافيّة، والتنازل أحياناً ومُسامحته على أخطاءه التي لا بد له من الوقوع بها في موقفٍ آخر. وهكذا تعددت شواهد وعلامات الحب الحقيقى ذلك الحب الذى يعيد إلينا إحساسنا بذواتنا ويرتقى بها.

ومن هنا يرى (زكريا إبراهيم د.ت، ٥٦-٦١) أن الحب الحقيقى علاقة شخصية يراد بها ومن ورائها الانتصار على شتى ضروب الانفصال من أجل تحقيق الوصل والوصال الحقيقى مع "الآخر"، وربما كان الحب ليس من الأمور وأعسرها فى وقت واحد: فهو أعسرها لأنه يتطلب ثمنا فادحا ندفعه بتنازلنا عن أنانيتنا، وحبنا لذواتنا، وبحثنا عن مصالحنا، ولكنه فى الوقت نفسه أيسرها لأنه لا يتطلب جهودا متواصلة فى خط مستقيم أو فى اتجاه واحد، بل هو يتطلب بساطة ذهنية عظيمة دون أدنى عنت أو إرهاق، ودون حاجة إلى أى مزايدة أو تضخيم.

ولهذا فإن الحب الحقيقى لا ينشأ إلا فى جوملؤه "الألم" ولكننا وإن سلمنا مع هؤلاء بأن الشفقة تقتادنا بوجه ما من الوجوه نحو "الأخر" إلا أننا نشعر بخطورة الخلط بين المحبة والشفقة (ص٦١). لذلك لاتوجد شكوك مع الحب الحقيقى، ولكن لا يمكن أن يوجد إلى جانب الحب الغيرة لأن الشك لايعكس حب حقيقى بوجوده لأنه معناه أنك لا تحب حبا حقيقيا، لأن الشك والحب الحقيقى لا يجتمعان معا، أنها الغيرة على الحب لأن الحب هو أثمن مالدى المحبين، والذى يؤكد طهارة من تحب ونقاؤه، وأنه برغم الغيرة إلا أن لحظة سعادة فى ظل الالتصاق بروح الحبيب تعادل كل الشقاء، إنه الإشباع الروحى الذى لا يعادله إشباع، ولا يستطيع أى شيء آخر أن يقدمه يدانيه.

وإلى اللقاء فى ورقة عمل قادمة نتناول فيها الحديث عن مراتب الحب كما جاءت عند الفلاسفة والمفسرين الذين إستهوتهم أحاديث الحب وهمساته وتباريحه لدى المحبين والعاشقين.

ثانيا: أمـــا عـــن مـــراتـــب الحـــب:

عرف العرب قديما أن للحب مراتب ومقامات ينزل المحب فيها أحوالا وأطوارا ويعيش فيها مراحل من عمره لطالما كان يغادرها إلى غيرها، ووصفو هذه المراحل بأوصاف مشتقة من ألفاظ تدل بمعانيها اللغوية على دقة المراحل والحالة التى يعيشها المحب، فهذا الوصف والأسم يغنى السامع الكثير من الشرح والاسهاب والتفصيل.

ولهذا اهتمت الدراسات العربية بالكلمات ذات الطابع الوصفى لمفهوم الحب، والتى تدل على حالة أو درجة من درجاته، وراحت بعض تلك الدراسات تتقصى الدلالة المعجمية، وتحاول جاهدة أن تربط بين تلك المفاهيم وبين الدلالة الاصطلاحية التى اكتسبتها كلمة الحب من خلال دورانه مع قرائن ملازمة واستعمالها استعمالا خاصا. وهذا سلوك لغوى مشروع دون أن نقول- كما يرى المؤلف محمد حسن عبد الله (١٩٨٠)- بحتمية التلازم بين المعنى العام والجذر

الأساسى للكلمة، فلا شك أن الدلالات المعجمية لكلمة ما، هى في ذاتها تاريخ لهذه الكلمة وكشف عن أطوارها وتقلباتها، وليس بمستبعد أن نلمح في هذه الأطوار التقلبات معانى مشتركة أو متأثرة، بل أن هذا كثيرا ما يحدث، كما أنه ليس بعجيب مطلقا أن تتعدد هذه الكلمات الاصطلاحية عن الحب ودرجاته مادمنا إزاء عاطفة خاصة، ذاتية الطابع، ومن الصعب تحديد ملامحها واخضاعها للتحليل القطعى. ولكن المثير للفكر حقا هو أن بعض من اهتم بدراسة هذا الجانب لم يكتف برصد نقطة البداية، ونقطة النهايةالمحتملتين في علاقة عاطفية بين متحابين، أو عاشقين، ولكنه راح يتصور هذه العلاقة في اطار من التصاعد المستمر وفق نظام وترتيب، وكأنها عاطفة محكومة بالإرادة، وتنمو بناء على تصور سابق، أو قوانين ملزمة.

فقد لا ننكر أن أول الحب النظر أو السماع، أو السماع والنظر، ولكن من يضمن كيف تصير الأمور أو تسير بعد هذه البداية التى لا تخلو من شك أيضا؟ وسنكتشف بعد ذلك أن "سلم التصاعد العاطفى"– إن صحت التسمية– غير متفق عليه، وهذا يؤكد خصوصية التجربة وتمردها على أى اطار مفرغ يعد لها سلفا لكى تتشكل فيه بالتحتم والضرورة، فضلا عن أن هذا المعنى المعجمى للكلمة لايعين على ترتيب هذه الأطوار ترتيبا تصاعديا، وكل مايمكن أن نوحى به وجود بعض التمايز أو الاختلاف في المستوى الأخلاقى الذى قامت عليه علاقة المحب والمحبوب، وتقريب درجة الاهتمام أو الاندماج في التجربة، دون أن يعنى ذلك أنه قد اجتاز المراحل الدنيا على الترتيب المفترض، أو المفروض.

لهذا تعددت الصياغات التعبيرية التى جاء عليها الحب وتعددت معانيه، ما بين (المحبة– الهوى– الصبابة– الصبوة– الشغف– الوجد– العشق– التتيم– الجوى– الكلف– السدم– التباريح– الخلابة– الشوق– الشجو– الوصب– السهد– الحرق– اللاعج– الشجن– الحنين– اللهف– الارق– اللذع– الكمد– الود– الخبل– الجنون– الفتون– اللوعة– الوله).

ولهذا جاءت مراتب الحب لدى العديد من المهتمين بها على مراحل عديدة اختلفت بحسب ما يراه كل متحدث عنه أو بحسب وجهة نظره فى كل من المحب والمحبوب وكذا درجة المحبة التى يبلغانها في علاقاتهما وما وصلت إليه من من درجة المحبة التى يريدها كل من المحب والمحبوب في العلاقة العاطفية وفيما يلى تناول لمراتب الحب كما جاءت عند هؤلاء المهتمين بهذة العاطفة الغلابة التى تمكنت من كلا المحب والمحبوب على حد سواء:

هذا ويعد "محمد بن داود" أول من تعرض لمصطلحات الحب، ورسم ترتيبا "السلم التصاعد العاطفى" حيث قال: فأول ما يتولد عن النظر والسماع والاستحسان، ثم يقوى فيصير مودة، ثم تقوى المودة فتصير محبة، ثم تقوى المحبة فتصير خلة، والخلة بين الآدميين تعنى أن تكون محبة احدهما قد تمكنت من صاحبه حت أسقطت السرائر بينه وبينه فصار متخللا لسرائره ومطلعا على ضمائره، ويقال أن الخلة بين الآداميين مأخوذة من تخلل المودة بين اللحم والعظم واختلاطها بالمخ والدم. ثم تقوى الخلة فتوجب الهوى، والهوى أسم لانحطاط المحب في محاب المحبوب، وفى التوصل إليه بغير تمالك ولا ترتيب. ثم تقوى الحال فيصير عشقا، والعاشق يمنعه من سرعة الانحطاط في هوى معشوقه اشفاقه عليه وضنه به، حتى أن ابقاءه عليه ليدعوه إلى مخالفته وترك الإقبال عليه، فمن الناس من يتوهم لهذه العلة أن الهوى أتم من العشق، وليس الأمر كذلك. ثم يزداد العشق فيصير تتيما، وهو أن تصير حال المعشوق مستوفيه للعاشق، فلا يكون فيه معها فضل لغيرها، ولا يزيد بقياسه شيئا إلا وجدته متكاملا فيها. (محمد حسن عبد الله، ١٦٠، ١٩٨٠).

والمستقرئ لهذا السلم التصاعدى العاطفى كما جاء عند "محمد بن داود" لوجد أنه قد جاء على سبع درجات- كما يرى محمد حسن عبدالله (مؤلف كتاب الحب عند العرب)- ليس منها النظر أو السماع، إذا هما سبب وليس نتيجة، أما الدرجات السبع فتتوالى على النحو التالى: (الاستحسان- المودة- المحبة- الخلة- الهوى- العشق- التتيم).

هذا وقد حذا أبن الجوزى حذو بن داود في هذه الدرجات السبع على ترتيبها، غير أنه أضاف في أعلى السلم درجة ثامنة، إذ يزيد "التتيم فيصير ولها" والوله الخروج عن حد الترتيب، والتعطل عن أحوال التمييز. (١٦٠) الحب عند العرب

لهذا فقد عالج "أحمد بن سليمان الكسائى" قضية المصطلحات تحت عنوان (تفاوت درجات الحب) حيث رأى أن أول درجات الحبب لديه تبدأ بالمقة: وهى ابتداء الملاحظة والممازحة، ولهذا قال بعض الحكماء: إياك وغمزة المزاح فإن فيها الموت المتاح وأنشدوا:

مازحته فاصطادني ... والحب أوله المزاح

واخجلتا من نومة ... قد كاد يفضحنا الصباح

أما **المودة** فهى أعلى درجة من الأول لأنها ميل الطبع بالبعضية، وأما علو **المحبة** على الخلة فلأن المحبة تكون من غير مكافأة، **والخلة** لا تكون إلا مجازاة. وينقل عن الشيخ "الامام

الدامغانى" أنه فرق بين الخلة والمحبة من أوجه، منها أن الخلة حال من هو بعد في الطريق يطلب خليله، والمحبة حال من قد وصل إلى محبوبه. ثم يأتى **الشوق** وهو إرادة رؤية الحبيب على قلة الصبر، ولهذا قيل: الشوق يقع على الرؤية، والمحبة تقع على الذات. **أما العشق** فهو مجاوزة الحد في المحبة ولا يجوز أن يطلق ذلك إلا على المخلوق لا غير، دون القديم إذ يستحيل أن يوصف القديم بأنه يجاوز الحد. **أما الهوى** فإنه يجمع هذه الأشياء كلها، فهى له كالأنواع للجنس، وإنما سمى بذلك لطلب العلو والشرف، لأن الهوى من أعلى الدرجات وأسمى المنازل (١٦١).

أما "الثعالبى" وهو واحد من اللغويين الذين يجملون القول في عبارات قصيرة تحت عنوان "في ترتيب الحب وتفصيله" حيث قدم لنا في هذا الترتيب أحد عشر مصطلحا رتبها ترتيبا تصاعديا حيث جاءت أدنى درجات الحب عنده هى أعلى درجاته عند الكسائى، فأول مراتب الحب (الهوى، ثم العلاقة، وهى الحب اللازم للقلب، ثم الكلف وهو شدة الحب، ثم العشق وهو أسم لما فضل عن المقدار الذى أسمه الحب، ثم الشغف وهو احراق الحب القلب مع لذة يجدها، ثم الشغف وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب، وهى جلدة دونه، ثم الجوى وهو الهوى الباطن، ثم التيم وهو أن يستعبده الحب ومنه: رجل متيم، ثم التبل وهو أن يسقمه الهوى، ومنه: رجل مدله، ثم الهيوم، وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم (محمد حسن عبد الله، ١٦٢، ١٩٨٠).

هذا ويذهب المؤلف (محمد حسن عبد الله، ١٩٨٠، ١٦٣) إلى أن اهتمام الفكر العربى بالحب قد انعكس على اختيار أسماء فيها معنى الوصف لحالة أو درجة من درجات الحب، اختصرها البعض في خمس وارتفع بها البعض إلى خمسين كما قال **ابن القيم** أن للحب أكثر من ستين اسما ولكنه لم يفصل غير خمسين، ولكنها على الحالين قادرة على اشتمال مختلف اطوار تلك العلاقة وما يكتنفها من مشاعر نفسية واضطرابات سلوكية بشكل عام، وتصور البعض أن مراتب الحب لا تعنى مجرد الوصف لحالة، وإنما هى وصف لحالة متولدة عن حالة سابقة ومؤدية لحالة لاحقة، فالبدء بالنظر ينتهى بالتتيم، أو بالعشق، أو بالهوى، على أقوال، وهذا يعنى أنه لا اتفاق على تتابع الدرجات كذلك لا اتفاق على وصف حالات الحب منفصلة، ولعل مرجع هذا الاضطراب ناتج عن اعتماد البعض على تفسير الأصل اللغوى واعتماد الآخرين على الاستعمال الشعرى، ومراقبة غيرهم للإيحاء الصوفى وبذلك كله تداخلت الدلالات، واضطربت الدرجات بين أدنى السلم وأعلاه.

من هنا لا مناص من محاولة الغوص في بعض المعاجم حول أشهر الاصطلاحات، ولعلها تنير الجانب الخفى في دلالاتها التاريخية، مع علمنا بأن المعجم العربى لم يرتب إلى اليوم– مع الأسف الشديد– ترتيبا تاريخيا، ومن ثم لايحق لنا أن نجزم بأطوار المعنى، كما لانجزم بأساسياته أو هامشيته، مكتفين بالنظرة المستعرضة لمادة الكلمة وتقلباتها بشكل عام. ولقد بذل ابن القيم جهدا واضحا في هذا المجال، ولكننا نفضل أن نعتمد على معجم أساسى أصيل وهو "لسان العرب".

١- العشـــــق:

هو فرط الحب وأمره وأخبثه، وهو أقصى درجات المحبة، ومعناه اتحاد ذات المحبوب بذات المحب اتحادا يوجب غفلة المحب شغلا بشهود محبوبه في ذاته بذاته، لذا قيل: أن العشق أقصى مقامات الذهول والغيبة.

وقيل في التفرقة بين (الحب والعشق) أن الحب أو المحبة يكون بلا شهوة، بينما العشق يقرن بالشهوة. وقيل أن عنصر الشهوة موجود بالحب دائما، وقيل أيضا إنه ليس شرطا أن يحوى عنصرا شبقيا، وأنه يكفى أن يكون عاطفة أغلب وجداناتها المحبة، وتستهدف الارتباط بشخص آخر أو شيء مشخص، وطلب الخير والسعادة لذلك الشخص. وقيل إن المحبة قد تتسامى فتخلو من كيفية جنسية، وقيل أم المحبة في معناها تنحو منحى صوفى أو دينى أكثر منه علمى، وحقيقة المحبة عند الصوفية هى، تهب كلك لمن أحببت، فلا تبقى لك منك شيء، والعشق عند (الصوفية) أقصى درجات المحبة ومعناها اتحاد ذات المحبوب بذات الحب، اتحاد يوجب غفلة المحب، وشغلا بشهود محبوبه في ذاته، ولذا قيل إن العشق أقصى مقامات الذهول، والغيبة، وأولاها الغرام وهو الانتشاء من خمر المحبة (كايد الشايب، ٢٠٠٢، ٢٨).

هذا إلى جانب أن العشق لاقد ينتهى بحب، ولكن الحب قد ينتهى بعشق، كما أن الحب يعد أعم من العشق ولكن العشق أقوى من الحب. والحب قد يصل إليه الكثيرولكن العشق لايصل إليه إلا القليل، لذا كان الحب أسمى من العشق لأنه لا يرتبط بشهوة.

٢- الافتتـــــان:

وهو خلع الأعذار وعدم المبالاة بالخلق. والحب بخلاف الافتتان، وإن كان الحب لا يستغنى عن الأفتتان، ولابد أن يستبقى من مرحلة الافتتان شيئا. والافتتان قد يأتى عفويا وفجائيا،

بينما الحب يقتضى زمنا، وفى الافتتان يكون الشخص محبا للحب، أى به الرغبة في الوقوع في شراك وحبائل الحب، بينما في الحب يحب المحب شخصا. وفى الافتتان يكون المحبوب مغايرا للمحب، أى أن المحب لم يشعر بعد أنه والمحبوب شيئا واحدا أو أصبحا كيانا واحدا.

بينما هو في الحب يتعين بالمحبوب ويرى نفسه فيه ويتحد به وينجذب إليه، بينما فى الافتتان فقد يعترى المحب القلق، لذا تراه يريد أشياءا، ويحلم بأشياء، ويتمنى أشياء، ولكنه في الحب فقد تتنزل السكينة على من يحب، وتدخل الطمأنينة على نفسه والعالم من حوله، بينما قد يصيب المحب المفتون نوع من الاحباط، فيصبح بائسا منكسرا حزينا يفتقد مباهج الحياة، فاقدا للطموح، ويعاف العيش وحتى الطعام، ويكون تائها يعانى الذهول، أما الإنسان في حالة الحب، قد يكون ملهما، يلهمه حبه فيعمل ويقدح ملكاته، ويحاول عمل أشياء ليرضى بها قلب محبوبه ليدخل عليه السعادة.

ولهذا نرى **في الافتتان** هناك دائما (الجسد والرغبة فى الوصال) أكثر مما في الحب، والمحب المفتون قد يتغير بسرعة، بينما في الحب يدوم وهو عكس ما يحدث في الافتتان، إلى جانب أن الافتتان قد يكون طريقا الى الزواج المتسرع من قبل المفتونين، وخاصة عندما يكون المحبان والهين، تقض مضجعهما الرغبات الجنسية، فيتعجلان الوصال، أو تكون بهما حاجات إعتمادية، ويريدان تحقيقها أحدهما أو كلاهما، وقد تكون غاية ورغبة في أن يلقى أحدهما على الآخر بمسئولياته، أو قد يدفعهما إلى الزواج دفعا رغبة فى الخلاص من الوحدة والكآبة والسأم الذى يراه كل منهما في ابتعادهما.

وفى الإفتتان يحب الشخص حالة الحب أكثر مما يحب، والآخر هنا ما هو الإ مرآه مناسبة يرى فيها حالة حبه ويتعلق بها، فالمفتتن هنا يسعد بطقوس الحب من اتصالات ولقاءات وخصام وعتاب وعودة ولقاء وفراق وغيرها، وفى الإفتتان أيضا نجد اختلافات شديدة بين الطرفين ونجد علامات التوافق قليلة أو منعدمة، بينما فلى الحب نجد مساحات هائلة للتوافق والإتفاق ونجد توحدا بين الإثنين في مواقف كثيرة فهما يشعران معا ويفكران معا ويتحركان معا في حين أنه في الإفتتان نجد الشخصين يسيران في عكس الإتجاه.

أما **(الحب الحقيقى)** فعلى النقيض من ذلك فقد تحكمه الرغبات الجنسية التى تدفع إليها دوافع فكرية ونفسية لها اعتباراتها، وتدعوا إليها كالاهتمامات المتماثلة لكلا الشريكين، وكذا الإعجاب المتبادل بخبرات كل منهما وطموحاته كما في (الحب الأخوى والحب الأبوى) حيث يسعى فيه

الطرفان إلى إسعاد بعضهما البعض، والعمل على كل مامن شأنه أن يرتقى فيهما وبهما مشاعر الحب. ولهذا كان الإغريق القدامى لا يعترفون إلا بالحب الجنسى الذى قوامه الافتتان.

والمفتتن يعيش حالة من الحرمان، فتراه يحلم بأشياء ويتمنى أشياء قد لا تتحقق، أما المحب الحقيقى فيشعر بحالة من السكينة والطمأنينة، ويشعر بلإرتواء والرضا من حيث هو مسرة Gratification، فتراه مطمئنا أن أحلامه وأمنياته وقد تحقق منها الكثير، وماتبقى هو قيد التحقيق، ولهذا تجده يعيش حالة من الأمن والأمان النفسى والطمأنينة النفسية التى تعكس حالة من التصالح مع الذات ومع الآخرين.

والمفتون قد يصيبه اليأس والاحباط أحيانا من جراء تصرفات الآخر فتتدهور حالته ويفقد طموحه في الحياة ويزهد الطعام والشراب وتتحول صحته وتتدهور ويعيش في حالة من الذهول، وربما يهيم على وجهه كحال العاشقين (كما فعل قيس بن الملوح). أما المحب فتراه يعيش ممتلئ بالأمل والتفاؤل عالى الطموح مقبل على العمل وكل أمل لا يعتريه الفتور وتزدهر ملكاته وقدراته، ويحاول أن يفعل من الأمور العظيمة والنبيلة ليرضى بها محبوبه ليحسن الظن به وليزداد شغفه به أكثر فأكثر، وهكذا ففى الحب يسعى كل طرف للإرتقاء بحاله لبلغ محاله فيسعد هو ويسعد الآخر، في حين نجد فلى الإفتتان حالة من التدهور والعذاب المتبادل.

والإفتتـان يتميز بمشاعر هائلة ومشتعلة وجارفة تمتزج برغبات جسدية متعجلة وهى قابلة للتغير بسرعة وربما الإنطفاء بسرعة على غير المتوقع، في حين نجد مشاعر الحب أكثر هدوءا وأطول عمرا وتنمو بقوة وثبات مع الوقت ولا تتعجل تحقيق الرغبات الجسدية أو الوصال الحسى ولكن تتركها تحدث في وقتها الطبيعى وبتطور أكثر منطقية وتكاملية.

وقد تحدث المشكلات حين يقرر الطرفين المفتونين أو أحدهما البدأ أو الشروع في خطبة أو زواج فهنا يكون التسرع تحت إلحاح عواطف قد تكون ملتهبة أو مشتعلة، أو رغبات جسدية متعجلة، أو رغبة في الإعتماد على طرف آخر والإئتناس به، أو التخلص من واقع مؤلم أو حياة أسرية غير سعيدة وغير مستقرة، أو حياة نفسية مضطربة قد تكون مليئة بالقلق والإكتئاب، وبالرغم من كل هذه الأسباب فقد نجد اندفاعا محموما، ورغبة غير متعقلة ومنجرفة للارتباط بين الطرفين، وعناد يعمى العين عن علامات التوافق البادية بينهما، وهذا النوع من أنواع العناد قد

يجعل الطرفين لا يدركان صيحات التحذير من الأهل أو الأصدقاء، فالمفتنون يكتفون بمشاعرهم فقط كمبرر للارتباط ولا ينظرون إلى بقية عوامل التوافق والإتفاق بهدف توفير الألفة والإئتلاف، أما المحبون فهم غير متعجلين في الارتباط وتبقى لديهم القدرة على رؤية وتفعيل العوامل الأخرى للتوافق مثل النواحى العقلية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، والاهتمامات المتماثلة للطرفين ورعايه طموحات وأمنيات ومشروعات كل طرف بحب واتزان، ولذلك نجد كل طرف محب للطرف الآخر وحريص على إسعاده، والإفتتان عواصف طاغية وأمواج عاتية سرعان ماتزول بعد أن تكون قد أحدثت مآس كتيرة لدى من تعرضوا لها، أما الحب فهو بالمحبين كالنسمة الرقيقة وكماء عذب سلسبيل تحيا بهما نفوس المحبين وترتقى بهما الحياة (أحمد عبده، ١٦٠، ٢٠١٤).

٣- الهـــــوى:

وهو ميل النفس إلى الشيء وهناك أسماء أخرى كثيرة عرفت من خلال ما ذكره المحبّون في أشعارهم، وفلتات ألسنتهم، وأكثرها يعبّر عن العلاقة العاطفيّة بين الرّجل والمرأة. أمّا مراحل الحبّ فهي: الهوى يقال أنّه ميْل النّفس، وفعْلُهُ: هَوِي، يهوى، هَوىً، وأما: هَوَىَ يَهوي فهو للسّقوط، ومصدره الهُويّ. وأكثر ما يستعمل الهَوَى في الحبِّ المذموم، كما في قوله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿ وأمَا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فإنَّ الجَنَّة هي المأْوى﴾، النّازعات/٤٠-٤١,

٤- العـــــلاقـــــة: وهى الحب اللازم للقلب.

٥- الكلـــــف:

وهو شدة الحب، وهو المرتبة الثالثة في الحب، وأصل الكلمة من الكلفة (بضم الكاف وتسكين اللام) وهى المشقة.

فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهَبَ نفسها للرَّجُل؟ فلمّا نزلت ﴿تُرْجي من تشاء مِنْهُنَّ﴾، الأحزاب/٥١، قلت: يا رسول الله ما أرى ربَّك إلا يُسارعُ في هالكَلَفُ هو شدّة التعلّق والولع، وأصل اللّفظ من المشقّة، قال الشّاعر: فتعلّمي أن قد كلِفْتُ بحبّكم ثمّ اصنعي ما شئت عن علم. العشق العشق فرط الحبّ، وقيل هو عجبُ المحبّ بالمحبوب، يكون في عفاف الحبّ ودعارته، قال الفرّاء:" العشق نبت لزج "، وسُمّي العشق الذي يكون في الإنسان لِلصُوقهِ بالقلب. الجوى الحرقة وشدّة الوجد من عشق أو حُزْن. الشّوق هو سفر القلب إلى المحبوب، وارتحال عواطفه ومشاعره.

٦- الشغـــــف:

وهو ارتفاع الحب أعلى موضع من القلب. وهو الحرقة حين يجد المحب لذته في الحب، ومثلها اللوعة.

٧- الشعـــــف:

وهو إحراق الحب للقلب. وهو مأخوذ من الشّغاف، والذي هو غلاف القلب، ومنه قول الله في القرآن، واصفاً حال امرأة العزيز في تعلّقها بيوسف: ﴿قد شغفها حُبّاً﴾، يوسف/٣٠، قال ابن عبّاس ما في ذلك: "دخل حُبّه تحت شغاف قلبها".

كما يراد بالشعف أيضا أن العاشق إذا بدأ يتحرق من لواعج الحب دخل فى مرحلة أخيرة أسمها "الشعف" بالعين وليس بالغين، كما يقال أيضا فى تعريف الشعف: "هو إحراق الحب للقلب مع لذة يجدها فى الإكتواء بنار الحب.

٨- الجـــوى: وهو الهوى الباطن والحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن.

٩- التتيـــم: وهو التعبد والمتيم هو الذى تيمه الحب إذا عبده، أو استعبده الحب.

١٠- التبـــل : (بفتح التاء والباء) وهو من أسقمه وأمرضه الهوى ومنه (رجل متبول).

١١- التدله أو التدليه: وهو ذهاب العقل من الهوى، ومنه (رجل مدله).

١٢- الهيـــام:

وهو أشد العطش. **الهُيام** وهو جنون العشق، وأصله داء يأخذ الإبل فتهيم، ولا ترعى، والهيم (بكسر الهاء) الإبل العطاش، فكأنّ العاشق المستهام قد استبدّ به العطش إلى محبوبه، فهام على وجهه لا يأكل، ولا يشرب، ولا ينام، وانعكس ذلك على كيانه النفسيّ والعصبيّ، فأضحى كالمجنون، أو كاد يجنّ فعلاً.

١٣- الصبـــابـــة:

وهى رقة الشوق وحرارته إلى المحب.، والصّبُوة غير الصّبابة، والتي تعني شدّة العشق، ومنها قول الشّاعر: تشكّى المحبّون الصّبابة لَيْتني تحمّلت ما يلقون من بينهم وحدْي.

١٤- المقـــة: المحبة الوامق المحب.

١٥- الـــوجـــد:

هو الحب الذى يتبعه حزنا والوجد هو الحبّ الذي تتبعه مشقّة في النّفس، والتّفكير فيمن يحبّه، وامتلاك الحزن له دائماً.

١٦- الـــدنـــف: الدنف هو المرض واستعمال العرب هذا الأسم للحب اللازم.

١٧- الشجـــــو: وهو الحب الذى يتبعه هم وحزن.

١٨- الشوق والاشتياق: هو سفر القلب إلى المحبوب والإشتياق نزاع النفس إلى الشيء.

١٩- البلبـــــال: هو الهم ووسواس الصدور.

٢٠- التبـــاريـــح: وهى الشدائد والدواهى ويقال برح به الحب والشوق، ومنه البرح وهو الشدة.

٢١- الغمـــــرة: مايغمر القلب من حب أو سكر.

٢٢- الشجـــــن: هو حاجة المحب الشديدة إلى محبوبه، أو هو حب فيه هم.

٢٣- الـــوصـــب:

هو ألم الحب ومرضه (ألم المحبة) والسهر والأرق والكمد وقد تكون من لوازم الحب والشوق. الوصب وهو ألم الحبّ ومرضه، لأن أصل الوصب المرض، وفي الحديث الصّحيح: "لا يصيب المؤمن من همّ ولا وصب، حتى الشّوكة يشاكها، إلا كفّر الله بها من خطاياه ". وقد تدخل صفة الدّيمومة على المعنى، وذكر القرآن الكريم: ﴿ولهم عذابٌ واصبٌ﴾، الصّافات/٩، وقال سبحانه: ﴿وله الدّينُ واصباً﴾، النّحل/٥٢

٢٤- الكمـــــد: وهو الحزن المكتوم وهو من لوازم الحب والشوق.

٢٥- الأرق: ويعنى السهر وهو من لوازم الحب.

٢٦- الحنـــــين: وهو الشوق الممزوج برقة.

٢٧- الجنـــون: ومن الجب ما يكون جنونا وأصل مادة الجنون الستر والحب المفرط الذى يستر العقل.

٢٨- الـــــود:

وهو خالص الحب وألطفه وأرأفه وهو خالص المحبة. الوُدّ وهو خالص الحبّ، وألطفه، وأرقّه، وتتلازم فيه عاطفة الرّأفة والرّحمة، يقول الله تعالى: ﴿وهو الغفور الودود﴾، البروج/ ١٤، ويقول سبحانه: ﴿إنّ ربّي رحيم ودود﴾، هود/,٩٠

٢٩- الخلـــــة:

وتعنى توحيد المحبة وقيل سميت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح وهى رتبة لا تقبل المشاركة.، ولهذا اختصّ بها في مطلق الوجود الخليلان إبراهيم ومحمّد، ولقد ذكر القرآن ذلك في قولهِ تعالى: ﴿واتّخَذَ اللهُ إبراهيم خليلاً﴾، النّساء/١٢٥. وصحّ عن النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- قوله: "**لو كنت متّخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتّخذت أبا بكر خليلاً، ولكنّ صاحبكم خليل الرّحمن**". **وقيل:** "لمّا كانت الخلّة مرتبةً لا تقبل المشاركة، امتحن الله سبحانه نبيّه إبراهيم الخليل، بذبح ولده لمّا أخذ شعبةً من قلبه، فأراد سبحانه أن يخلّص تلك الشّعبة ولا تكون لغيره، فامتحنه بذبح ولده، فلمّا أسلما لأمر الله، وقدّم إبراهيم محبّة الله تعالى على محبّة الولد، خلص مقام الخلّة، وصفا من كلّ شائبة، وفدي الولدُ بالذّبح". ومن ألطف ما قيل في تحقيق الخلّة: "أنّها سمّيت كذلك لتخلّلها جميع أجزاء الرّوح وتداخلها فيها"،

٣٠- الغـــــرام:

وهو الولوع والحب اللازم للشخص، وأغرم الشيء أى أولع به، وكلها أسماء لمظاهر سلوكية لشيء واحد، أو عاطفة مفردة، وتعنى التأثر الوجدانى بالمحبوب والاحساس بالترابط مع شخصه، والشوق والحني إليه، ولهذا فإن الحب إذا قوى وتأكد تحول عشقا.

كما يعنى مصطلح الغرام: حرفيّاً، التَعلُّق بالشّيء تَعلُّقاً لا يُستطاع التَخلّص منه، ويعني أيضاً العذاب الدّائم الملازم. والمغرم هو المولع بالشّيء لا يصبر على مفارقته، وأُغرم بالشيء، أي أولع به، فهو مُغرم. وهو أيضا الإنتشاء من خمر المحبة (أحمد عبده، ١٦٧، ٢٠١٤).

٣٢- الـــولـــه: وهو ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وهو مقام الحيرة.

٣٣- الـــرسيـــس: وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب في النفس.

٣٤- الجـــزع: وهو عدم الصبر على الفرقة.

٣٥- السهـــد: وهى شدة السهر وتواتر أحوال المحبوب على القلب.

٣٦- الغـــل: وتعنى شدة العشق.

٣٧- اللهـــف: وتعنى الحزن والتحسر، واللهفان المتحسر، واللهيف المضطر.

٣٨- التبـــالـــة: تبله الحب أى أسقمه وأفسده.

٣٩- اللـــوعـــة: لحرقة ولوعة الحب وحرقته.

٤٠- الـــداء المخـــامـــر: وهو من أوصافه، وسمى مخامرا لمخالطته القلب والروح.

٤١- الســـدم: وهو الحب الذى يتبعه ندم وحزن.

٤٢- أمـــا المحبـــة

فهى مأخوذة من الحباب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وثورانه عند الاهتياج الى لقاء المحبوب وقيل مأخوذ ة من الحب وهو لباب الشيء أو الحب الذي هو الاناء الواسع الذي يوضع فيه الشيء فيمتليء به بحيث لايسع غيره وكذلك قلب المحب وقيل مأخوذ من الحب وهو الخشبات الاربع التي يستقر عليها ما يوضع عليها فسمي الحب بذلك لأن المحب يتحمل لأجل محبوبه الأثقال أو قيل مأخوذ من حبة القلب وهي سويداؤه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب.

فالحب هو "تلك المشاعر التى تحقق التقارب والإحتواء، والاستمتاع بالتواجد مع طرف آخر، والحب أيضا يصف مشاعر من العاطفة، وهو الفعل الذى يتصرف فيه الإنسان عن عمد لكن باستجابة رقيقة فيها تعاطف تجاه الآخرين أو لطرف واحد آخر". وهكذا يستطيع كل فرد منا أن يحب بل ويمتلك مقومات هذا الحب بالفعل فى مختلف علاقاته لكنه مثل أى شيء أخر لابد من تنميته حتى يصل إلى هذه المرتبة فلا يمكن زراعة بزوره الحب فى أرض جدباء غير خصبة لا تنبت الحب ولا حتى تقيم بذور الصبر أن تترعرع وتكتسى بها ظهير الأرض وأحشائها.

فما أجمل الحياة إن كان فيها عزيز يتذكر، وقلب يتأثر ومحب مخلص لا بصغائر الأمور يتغير (الفيس بوك). فلا تنسى أن جمال الروح يهون عليك المصائب، وجمال النفس يسهل لك المطالب، وجمال العقل يحقق لك المكاسب، أم جمال الشكل يسبب لك كل المتاعب. (الفيس بوك). سألوا قيس يوما ما عن سبب حبه لليلى وهى ليست بالفاتنة أو الجميلة فأجاب: ومن منكم يرى ليلى بعين قيس (الفيس بوك). وقيل أيضا أن العتاب كالحب فلا تعطيه لمن لا يستحقه .(جبران خليل جبران). (ممكن إزالتها من الفقرة)

أسمـــاء الحـــبّ ومـــراحلـــه

وضعوا للحبّ **أسماءً** كثيرةً منها: المحبّة، والهوى، والصّبوة، والشّغف، والوجد، والعشق، والنّجوى، **والشّوق**، والوصب، والاستكانة، والودّ، والخُلّة، والغرام، والهُيام، والتّعبد. وهناك أسماء أخرى كثيرة عرفت من خلال ما ذكره المحبّون في أشعارهم، وفلتات ألسنتهم، وأكثرها يعبّر عن العلاقة العاطفيّة بين الرّجل والمرأة. أمّا مراحل الحبّ فهي:

الهـــــوى

يقال أنّه ميْل النّفس، وفعْلُهُ: هَوِي، يهوى، هَوىً، وأما: هَوَىَ يَهوي فهو للسّقوط، ومصدره الهُويّ. وأكثر ما يستعمل الهَوَى في الحبِّ المذموم، كما في قوله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿وأمَا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإنَّ الجَنَّة هي المأْوى﴾، النّازعات/٤٠-٤١.

وقد يُستعمل في الحبّ الممدوح استعمالاً مقيّداً، منه قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "لا يؤْمن أحدكم حتى يكون هَواهُ تَبعاً لما جئتُ بِه"، صحّحه النّووي. وجاء في الصّحيحين عن عروة بن **الزّبير**، قال: "كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهنّ للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهَبَ نفسها للرَّجُل؟ فلمّا نزلت ﴿تُرْجي من تشاء مِنْهُنَّ﴾، الأحزاب/٥١، قلت: يا رسول الله ما أرى ربَّك إلا يُسارعُ في هواك".

الصّبْـــوة

وهي الميل إلى الجهل، فقد جاء في **القرآن** الكريم على لسان سيّدنا "**يوسف**" قوله تعالى: ﴿وإلا تَصرفْ عنّي كيدَهن أصبُ إليهنَّ وأكنُ من الجاهلين﴾، يوسف/٣٣، والصّبُوة غير الصّبابة، والتي تعني شدّة العشق، ومنها قول الشّاعر:

تشـــكّى المحبّـــون الصّـــبابة لَيْـــتني تحمّلـــت مـــا يلقـــون مـــن بيـــنهم وحـــدْي

الشّغـــف

وهو مأخوذ من الشّغاف، والذي هو غلاف **القلب**، ومنه قول الله في القرآن، واصفاً حال امرأة العزيز في تعلّقها بيوسف: ﴿قد شغفها حُبّاً﴾، يوسف/٣٠، قال ابن عبّاس ما في ذلك: "دخل حُبّه تحت شغاف قلبها".

الـــوجـــد

هو الحبّ الذي تتبعه مشقّة في النّفس، والتّفكير فيمن يحبّه، وامتلاك **الحزن** له دائماً.

الكَلَـــفُ

هو شدّة التعلّق والولع، وأصل اللّفظ من المشقّة، قال الشّاعر: فتعلّمي أن قد كلِفْتُ بحبّكم ثمّ اصنعي ما شئت عن علم.

العشـــق

العشق فرط الحبّ، وقيل هو عجبُ المحبّ بالمحبوب، يكون في عفاف الحبّ ودعارته، قال الفرّاء: "العشق نبت لزج"، وسُمّي العشق الذي يكون في الإنسان لِلصُوقهِ بالقلب.

الجـــوى

الحرقة وشدّة الوجد من عشق أو حُزْن.

الشّـــوق

هو سفر القلب إلى المحبوب، وارتحال عواطفه ومشاعره، وقد جاء هذا الاسم في حديث نبويّ إذ روي عن عمّار بن ياسر، أنّه صلّى صلاة فأوجز فيها، فقيل له: أوجزت يا أبا اليقظان، فقال: "لقد دعوت بدعوات سمعتهن من رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– يدعو بهنّ: "اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشّهادة، وأسألك كلمة الحقّ في الغضب والرّضى، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرّة عين لا تنقطع، وأسألك الرّضى بعد القضاء، وأسألك بَرَد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النّظر إلى وجهك، والشّوق إلى لقائك، في غير ضرّاء مُضرّة، ولا فتنة ضالّة، اللهم زيّنّا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداةً مهتدين". وقال بعض العارفين: "لمّا علم الله شوق المحبّين إلى لقائه، ضرب لهم موعداً للقاءٍ تسكن به قلوبهم".

الـــوصـــب

وهو ألم الحبّ ومرضه، لأن أصل الوصب المرض، وفي الحديث الصّحيح: "لا يصيب المؤمن من همّ ولا وصب، حتى الشّوكة يشاكها، إلا كفّر الله بها من خطاياه". وقد تدخل صفة الدّيمومة على المعنى، وذكر القرآن الكريم: ﴿ولهم عذابٌ واصبٌ﴾، الصّافات/٩، وقال سبحانه: ﴿وله الدّينُ واصباً﴾، النّحل/٥٢.

الاستكـــانـــة:

وهي من اللّوازم، والأحكام، والمتعلّقات، وليست اسماً مختصاً، ومعناها على الحقيقة: الخضـوع، وذكـر **القـرآن** الاسـتكانة بقولـهِ: ﴿فـما اسـتكانوا لـربّهم ومـا يتضرعون﴾، المؤمنون/٧٦، وقال: ﴿فما وَهَنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضَعُفوا وما استكانوا﴾، آل عمران/١٤٦. وكأنّ المحبّ خضع بكليّته إلى محبوبته، واستسلم بجوارحه وعواطفه، واستكان إليه.

الـــوُدّ:

وهو خالص الحبّ، وألطفه، وأرقّه، وتتلازم فيه عاطفة الرّأفة والرّحمة، يقول الله تعالى: ﴿وهو الغفور الودود﴾، البروج/ ١٤، ويقول سبحانه: ﴿إنّ ربّي رحيم ودود﴾، هود/٩٠.

الخُلّـــة:

وهي توحيد المحبّة، وهي رتبة أو مقام لا يقبل المشاركة، ولهذا اختصّ بها في مطلق الوجود الخليلان إبراهيم ومحمّد، ولقد ذكر **القرآن** ذلك في قولهِ تعالى: ﴿واتّخَذَ اللهُ إبراهيم خليلاً﴾، النّساء/١٢٥.

وصحّ عن النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- قوله: "لو كنت متّخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتّخذت أبا بكر خليلاً، ولكنّ صاحبكم خليل الرّحمن". وقيل: "لمّا كانت الخلّة مرتبةً لا تقبل المشاركة، امتحن الله سبحانه نبيّه إبراهيم الخليل، بذبح ولده لمّا أخذ شعبةً من قلبه، فأراد سبحانه أن يخلّص تلك الشّعبة ولا تكون لغيره، فامتحنه بذبح ولده، فلمّا أسلما لأمر الله، وقدّم إبراهيم محبّة الله تعالى على محبّة الولد، خلص مقام الخلّة، وصفا من كلّ شائبة، وفدي الولدُ بالذّبح". ومن ألطف ما قيل في تحقيق الخلّة: "أنّها سمّيت كذلك لتخلّلها جميع أجزاء الرّوح وتداخلها فيها"، قال الشّاعر:

قـد تخلّلْـتِ مسـلك الـروح مِـني وبـذا سُـمّي الخليـل خلـيلاً

الغـــرامُ:

وهو الحبّ اللّازم، ونقصد باللازم التحمّل، يقال: رجلٌ مُغْرم، أي مُلْزم بالدّين، قال "كُثَيِّر عَزَّة":

قضـى كـل ذي ديـنٍ فـوفّى غريمـه وعـزّة ممطـول مُعنًّـى غريمُهـا

الهُيـــام:

وهـو جنـون العشـق، وأصـله داء يأخـذ الإبـل فتهـيم، ولا ترعـى، والهـيم (بكسـر الهـاء) الإبـل العطـاش، فكـأنّ العاشـق المسـتهام قـد اسـتبدّ بـه العطـش إلـى محبوبـه، فهـام علـى وجهـه لا يأكـل، ولا يشـرب، ولا ينـام، وانعكـس ذلـك علـى كيانـه النفسـيّ والعصـبيّ، فأضـحى كالمجنون، أو كاد يجنّ فعلاً.

- **الحب عند العرب والمحدثين:**
- **تعريف الحب عند العرب قديما: ما هو الحبّ؟**

الحُبّ هو: "شعور بالانجذاب والإعجاب نحو شخص ما، أو شيء ما، وقد يُنظر للحبّ على أنّه كيمياء متبادلة بين اثنين". ومن المعروف أنّ الجسم يفرز هرمون الأوكسيتوسين المعروف بهرمون المحبّين أثناء اللقاء بينهم. وتمّ تعريف كلمة حبّ لغويّاً على أنّها تضمّ معاني الغرام، والعلّة، وبذور النّبات، ويوجد تشابه بين المعاني الثّلاث على الرّغم من تباعدها ظاهريّاً؛ فكثير ما يشبّهون الحبّ بالدّاء أو العِلّة، وكثيرا أيضاً ما يُشبّه المحبّون الحبّ ببذور النّباتات.

أمّا مصطلح **الغـرام** فهو يعني حرفيّاً، التَعلُّق بالشّيء تَعلُّقاً لا يُستطاع التَخلّص منه، ويعني أيضاً العذاب الدّائم الملازم. والمغرم هو المولع بالشّيء لا يصبر على مفارقته، وأُغرم بالشيء، أي أولع به، فهو مُغرم. مفهوم الحبّ في اللغة إنّ لمفهوم الحبّ معانٍ عدّة فسّرتها لغتنا العربيّة على الشّكل التّالي: **الحـبّ:** نقيض البغض، والحبّ: الوداد والمحبّة، كالحباب بمعنى: المحبّة والمودّة. والحبّ: يقال حبّه وكرامة. والحُباب بالضمّ: الحبّ، والحُباب أيضاً المحبّة.

والحِـبّ: بالكسر، الحبيب، وجمع الحبّ بالكسر: أحباب، وحبّان، وحبوب، وحبّبه، محرّكة. وحبّه يحبّه، بالكسر، فهو محبوب، وأحبّه فهو محبّ، بالكسر، وهو محبوب على غير قياس، هذا الأكثر، وقد قيل محبّ على القياس، وهو قليل.

مفهـوم الحـبّ إصـطلاحا: قبل أن نتعرّف على تعريفات العلماء للحبّ اصطلاحاً تجدر الإشارة إلى عجزهم عن تعريف هذا المصطلح وإدراك حقيقته، ومن أقدم من أشار إلى عجز التّفسير عن حقيقة المحبّة: (سمنون المحبّ) ذلك العاشق البغداديّ المتوفّى تقريباً سنة ٢٩٨هـ؛ إذ قال: "لا يعبّر عن شيء إلا بما هو أرقّ منه، ولا شيء أرقّ من

المحبّة، فما يعّبر عنها". ويكاد يتّفق العلماء فى أنّ المحبّة لا يمكن تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً. يقول الإمام القشيريّ رحمه الله: "لا توصف المحبّة بوصف، ولا تحدّد بحدٍّ أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبّة، والاستقصاء في المقال عند حصول الأشكال، فإذا زاد الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق في شرح الكلام".

هذا وبيّن الشيخ "محيي الدّين بن عربي" رحمه الله، أنّ تحديد المحبّة لا يُتصور، لا سيّما وقد اتّصف الله تعالى بها، قال: "واختلف النّاس في حدّه، فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذّاتي، بل لا يتصوّر ذلك، فما حدّه من حدّه إلا بنتائجه وآثاره ولوازمه، ولا سيّما وقد اتّصف به الجناب العزيز وهو الله".

تعريف الحبّ عند المفسّرين تقاربت أقوال المفسّرين في تعريف مصطلح المحبّة، فعرّفها القدماء بأنّها ميل القلب أو النّفس إلى أمر ملذّ، وكما عرّفها المتأخّرون بالانفعال النّفساني، والانجذاب المخصوص بين المرء وكماله، وهذه بعض النّصوص في تعريفهم للمحبّة على سبيل المثال:

تعريف الحبّ عند الرّاغب الأصفهاني رحمه الله، لم يعرّف الحبّ كغيره من الأقدمين بالميل، بل عرّفه بالإرادة المخصوصة وبالإيثار؛ إذ قال: "المحبّة: إرادة ما تراه أو تظنّه خيراً"، فهي إرادة مخصوصة وليست مطلقة، لذا قال: "وربّما فسّرت المحبّة بالإرادة في نحو قوله تعالى: "فيه رجال يحبّون أن يتطهرو" التّوبة/١٠٨، وليس كذلك فإنّ المحبّة أبلغ من الإرادة كما تقدّم آنفاً، فكل محبّة إرادة، وليس كل إرادة محبّة". ويعني بذلك أنّ الإرادة أعمّ والمحبّة أخصّ، وعرّف الرّاغب الاستحباب بالإيثار فقال: "وقوله تعالى: "إن استحبوا الكفر على الإيمان"، التّوبة/٢٣، أي: إن آثروه عليه، وحقيقة الاستحباب أن يتحرّى الإنسان في الشّيء الذي يحبّه، واقتضى تعديته بـ (على) معنى الإيثار، وعلى هذا قوله تعالى: "وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى"، فصّلت/١٧.

أما عن تعريف الحبّ عند الرّازي: فقدعرّف الرازي **المحبّة بالشّهوة** والميل والرّغبة إذ قال: "المحبّة في الشّاهد عبارة عن الشّهوة، وميل الطبّع، ورغبة النّفس".

تعريف الحبّ عند القاضي عياض:

عرّف القاضي عياض رحمه الله المحبّة في شرحه لصحيح الإمام مسلم رحمه الله، قائلاً: "أصل المحبّة الميل لما يوفّق المحبّ"، ونقل في موضع آخر بعض ما قيل في حقيقة المحبّة وتعلّقها بالمحسوسات والمعقولات، من ذلك ما قيل في: "أنّ حقيقتها الميل إلى ما يوافق الإنسان، إما لاستلذاذه بإدراكه بحواسه الظاهرة، كمحبّة الأشياء الجميلة، والمستلذّة، والمستحسنة، أو بحاسّة العقل، كمحبتّه للفضلاء، وأهل المعروف والعلم، وذوي السّير الحسنة، أو لمن يناله إحسان وإفضال من قبله".

تعريف الحبّ عند الحافظ القرطبيّ:

ورد عن الحافظ القرطبي رحمه الله في حديثه عن تنزيه الله تعالى عن الاتّصاف بالمحبّة على ظاهر معناها، وبيانه أنّها مؤوّلة في حقّه تعالى، ذكر السّبب في ذلك، وهو أنّ المحبّة المتعارف عليها في حقّنا، إنّما هي ميل لما فيه غرض يستكمل به الإنسان ما نقصه، وسكون لما تلتذُّ به النّفس وتكمل بحصوله".

تعريف الحبّ عند القاضي عبد الجبّار:

عرّف المعتزلة المحبّة بالإرادة، فالمحبّة، والإرادة، والرّضا، كلّها من باب واحد، قال القاضي عبد الجبّار رحمه الله: "اعلم أنّ المحبّ لو كان له بكونه محبّاً صفةٌ سوى كونه مريداً، لوجب أن يعلمها من نفسه، أو يصل على ذلك بدليل، وفي بطلان ذلك دلالة على أنّ حال المحبّ هو حال المريد، ولذلك متى أراد الشيء أحبّه، ومتى أحبّه أراده، ولو كان أحدهما غير الآخر، لامتنع كونه محبّاً لما لا يريد، أو مريداً لما لا يحبّ على بعض الوجوه، ولا يصحّ أن يقال إن المحبّة غير الإرادة".

تعريف الحبّ في المعاجم الفلسفيّة جاء في المعاجم الفلسفيّة: أنّ الحبّ– وهو في الفرنسيّة Amour :، وفي الإنجليزيّة Love، وفي اللاتينيّة - Amor له معنيان: **معنى خاصّ:** وهو أن الحبّ عاطفة تجذب شخصاً نحو شخص من الجنس الآخر، فمصدرها الأوّل الميول الجنسيّة. معنى عامّ: وهو أنّ الحبّ عاطفة يؤدّي تنشيطها إلى نوع من أنواع اللذّة، ماديّة كانت أو معنويّة.

والحبّ هو الميل إلى الشيء السّار، والغرض منه إرضاء الحاجات الماديّة أو الروحيّة، وهو مترتّب على تخيّل كمال في الشيء السّار أو النّافع، يفضي إلى انجذاب الإرادة إليه، كمحبّة العاشق لمعشوقه، والوالد لولده، وينشأ الحبّ عن عامل غريزيّ، أو كسبيّ، أو انفعاليّ مصحوب بالإرادة، أو إراديّ مصحوب بالتصوّر. والفرق بين الحبّ والرّغبة أنّ الرّغبة حالة آنيّة، أما الحبّ فهو نزوع دائم، يتجلّى في رغبات متتالية ومتناوبة، وفرّقوا أيضاً بين الحبّ الشّهوانيّ والعذريّ، أو الأفلاطونيّ، أمّا الشّهوانيّ فهو: حبّ أنانيّ غايته نفع المحبّ ذاته، وأما الأفلاطونيّ أو المثاليّ أو العذريّ كما تسمّيه العرب فهو حبٌّ محض مجرّد عن الشّهوة والمنفعة.

هذا ويطلق اصطلاح **الحبّ الخالص** على حبّ العبد لله تعالى، لأجل ذات الله تعالى، لا لمنفعة، أو خوف، أو أمل، بل لمجرّد ما يتصوّر فيه من الجمال والكمال التّامّين. ولأنّ لذّة الحبّ لا تتصوّر إلا بعد معرفة وإدراك فقط، أطلق على حبّ الله اسم الحبّ العقليّ وهو: الحبّ النّاشئ عن المعرفة المطابقة لحقائق الأشياء؛ إذ أنّ هذه المعرفة تولّد في نفوسنا فرحاً مصحوباً بتصوّرنا أن الله تعالى سبب وعلّة سرورنا. أسماء الحبّ ومراحله وضعوا للحبّ أسماءً كثيرةً منها: (المحبّة، والهوى، والصّبوة، والشّغف، والوجد، والعشق، والنّجوى، والشّوق، والوصب، والاستكانة، والودّ، والخُلّة، والغرام، والهُيام، والتّعبد. وهناك أسماء أخرى كثيرة عرفت من خلال ما ذكره المحبّون في أشعارهم، وفلتات ألسنتهم، وأكثرها يعبّر عن العلاقة العاطفيّة بين الرّجل والمرأة.

أمّا عن مراحل الحبّ فهي:

الهوى يقال أنّه ميْل النّفس، وفعْلُهُ: هَوِي، يهوى، هَوىً، وأما: هَوَىَ يَهوي فهو للسّقوط، ومصدره الهُويّ. وأكثر ما يستعمل الهَوَى في الحبِّ المذموم، كما في قوله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإنَّ الجَنَّة هي المأْوى﴾، النّازعات/٤٠-٤١. وقد يُستعمل في الحبّ الممدوح استعمالاً مقيّداً، منه قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:" لا يؤْمن أحدكم حتى يكون هَواهُ تَبعاً لما جئتُ بِه "، صحّحه النّووي. وجاء في الصّحيحين عن عروة بن الزّبير، قال:" كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهنّ للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهَبَ نفسها للرَّجُل؟ فلمّا نزلت ﴿تُرْجي من تشاء مِنْهُنَّ﴾، الأحزاب/٥١، قلت: يا رسول الله ما أرى ربَّك إلا يُسارعُ في هواك".

أما الصّبْوة فهي الميل إلى الجهل، فقد جاء في القرآن الكريم على لسان سيّدنا "يوسف" قوله تعالى: ﴿وإلا تَصرفْ عنّي كيدَهن أصبُ إليهنَّ وأكنُ من الجاهلين﴾، يوسف/٣٣، والصّبُوة غير الصّبابة، والتي تعني شدّة العشق، ومنها قول الشّاعر: تشكّى المحبّون الصّبابة لَيْتني تحمّلت ما يلقون من بينهم وحدْي الشّغف وهو مأخوذ من الشّغاف، والذي هو غلاف القلب، ومنه قول الله في القرآن، واصفاً حال امرأة العزيز في تعلّقها بيوسف: ﴿قد شغفها حُبّاً﴾، يوسف/الأية٣٠، قال ابن عبّاس ما في ذلك: "دخل حُبّه تحت شغاف قلبها".

الوجد هو الحبّ الذي تتبعه مشقّة في النّفس، والتّفكير فيمن يحبّه، وامتلاك الحزن له دائماً. على حين جاء **الكَلَفُ** هو شدّة التعلّق والولع، وأصل اللّفظ من المشقّة، قال الشّاعر: فتعلّمي أن قد كلِفْتُ بحبّكم ثمّ اصنعي ما شئت عن علم. العشق فرط الحبّ، وقيل هو عجبُ المحبّ بالمحبوب، يكون في عفاف الحبّ ودعارته، قال الفرّاء: "العشق نبت لزج"، وسُمّي العشق الذي يكون في الإنسان لِلصُوقهِ بالقلب. **الجوى** الحرقة وشدّة الوجد من عشق أو حُزْن. **الشّوق** هو سفر القلب إلى المحبوب، وارتحال عواطفه ومشاعره، وقد جاء هذا الاسم في حديث نبويّ إذ روي عن عمّار بن ياسر، أنّه صلّى صلاة فأوجز فيها، فقيل له: أوجزت يا أبا اليقظان، فقال: "لقد دعوت بدعوات سمعتهن من رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يدعو بهنّ: "اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشّهادة، وأسألك كلمة الحقّ في الغضب والرّضى، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرّة عين لا تنقطع، وأسألك الرّضى بعد القضاء، وأسألك بَرَد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النّظر إلى وجهك، والشّوق إلى لقائك، في غير ضرّاء مُضرّة، ولا فتنة ضالّة، اللهم زيّنّا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداةً مهتدين". وقال بعض العارفين: "لمّا علم الله شوق المحبّين إلى لقائه، ضرب لهم موعداً للقاءٍ تسكن به قلوبهم".

أما الوصب وهو ألم الحبّ ومرضه، لأن أصل الوصب المرض، وفي الحديث الصّحيح: "لا يصيب المؤمن من همّ ولا وصب، حتى الشّوكة يشاكها، إلا كفّر الله بها من خطاياه". وقد تدخل صفة الدّيمومة على المعنى، وذكر القرآن الكريم: ﴿ولهم عذابٌ واصبٌ﴾، الصّافات/٩، وقال سبحانه: ﴿وله الدّينُ واصباً﴾، النّحل/٥٢. الاستكانة وهي من اللّوازم، والأحكام، والمتعلّقات، وليست اسماً مختصاً، ومعناها على الحقيقة: الخضوع، وذكر القرآن الاستكانة بقولهِ: ﴿فما استكانوا لربّهم وما يتضرّعون﴾، المؤمنون/٧٦، وقال: ﴿فما وَهَنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضَعُفوا وما استكانوا﴾، آل عمران/١٤٦. وكأنّ المحبّ خضع بكليّته إلى محبوبته، واستسلم بجوارحه وعواطفه، واستكان إليه.

على حين عرف "الود" بأنه خالص الحبّ، وألطفه، وأرأقّه، وتتلازم فيه عاطفة الرّأفة والرّحمة، يقول الله تعالى: ﴿وهو الغفور الودود﴾، البروج/ ١٤، ويقول سبحانه: ﴿إنّ ربّي رحيم ودود﴾، هود/٩٠. الخُلّة وهي توحيد المحبّة، وهي رتبة أو مقام لا يقبل المشاركة، ولهذا اختصّ بها في مطلق الوجود الخليلان إبراهيم ومحمّد، ولقد ذكر القرآن ذلك في قولهِ تعالى: ﴿واتّخَذَ اللهُ إبراهيم خليلاً﴾، النّساء/١٢٥. وصحّ عن النّبي– صلّى الله عليه وسلّم– قوله: "لو كنت متّخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتّخذت أبا بكر خليلاً، ولكنّ صاحبكم خليل الرّحمن".

وقيل: "لمّا كانت الخلّة مرتبةً لا تقبل المشاركة، امتحن الله سبحانه نبيّه إبراهيم الخليل، بذبح ولده لمّا أخذ شعبةً من قلبه، فأراد سبحانه أن يخلّص تلك الشّعبة ولا تكون لغيره، فامتحنه بذبح ولده، فلمّا أسلما لأمر الله، وقدّم إبراهيم محبّة الله تعالى على محبّة الولد، خلص مقام الخلّة، وصفا من كلّ شائبة، وفدي الولدُ بالذّبح". ومن ألطف ما قيل في تحقيق الخلّة: "أنّها سمّيت كذلك لتخلّلها جميع أجزاء الرّوح وتداخلها فيها"، قال الشّاعر: قد تخلّلْتِ مسلك الروح مِني وبذا سُمِّي الخليل خليلاً **الغرامُ** وهو الحبّ اللّازم، ونقصد باللازم التحمّل، يقال: رجلٌ مُغْرم، أي مُلْزم بالدّين، قال "كُثِّير عَزَّة": قضى كل ذي دينٍ فوفّى غريمه و"عزَّة" ممطول مُعنًّى غريمُها **الهُيام** وهو جنون العشق، وأصله داء يأخذ الإبل فتهيم، ولا ترعى، والهيم (بكسر الهاء) الإبل العطاش، فكأنّ العاشق المستهام قد استبدّ به العطش إلى محبوبه، فهام على وجهه لا يأكل، ولا يشرب، ولا ينام، وانعكس ذلك على كيانه النفسيّ والعصبيّ، فأضحى كالمجنون، أو كاد يجنّ فعلاً. أقوال في الحبّ تكلّم هامساً عندما تتكلّم عن الحبّ.

الحبّ تجربة حيّة، لا يعانيها إلا من يعيشها. قد يولد الحبّ بكلمة، ولكنّه لا يمكن أبداً أن يموت بكلمة. الحبّ لا يقتل العشاقّ، هو فقط يجعلهم معلّقين بين الحياة والموت. الذي يحبّ يصّدق كلّ شيء، أو لا يصّدق أيّ شيء. إذا أحبّتك المرأة خافت عليك، وإذا أحببتها خافت منك. إذا شكا لك شاب من قسوة امرأة، فاعلم أنّ قلبه بين يديها.

فالحبّ يدخل للرجل عبر العينين، ويدخل للمرأة عبر الأذنين. المرأة التي تفقد حبيبها هي امرأة أحبّت، والمرأة التي تحتفظ بحبيبها امرأة أتقنت فنّ الحبّ. عتاب المحبّين كمطر الصّيف، يمضي سريعاً، ويترك الدّنيا أكثر نضارةً وجمالاً. الحبّ الذي ينتهي ليس حبّاً حقيقياً. إنّ الحبّ يهبط على المرأة في لحظة سكون، مملوءة بالشّك والإعجاب. الأشرار يطيعون بدافع الخوف، والطّيبون يطيعون بدافع الحبّ. لا تقل أحبّها لكذا، بل قل أحبّها رغم كذا.

(على أن نلتقى فى ورقة عمل أخرى نتحدث فيها عن الحب والكراهية)